سلسلة حجاب المسلمة

بين انتحال المبطلين وتأويل الجاهلين

(٥)

مؤامرات على الحجاب

الدكتور

محمد فؤاد البرازي

أضواء السلف



الطبعة الثانية
مزيدة ومنقحة
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

مكتبة أضواء السلف - لصاحبها علي الحربي

الرياض - شارع سعد بن أبي وقاص - بجوار بنده - ص ب ١٣١٨٩٢ - الرمز ١١٧١١
تلفون وفاكس ٢٣٢١٠٤٥ - محمول ٠٥٥٤٩٤٣٨٥

الموزعون المعتمدون لمنشوراتنا

المملكة العربية السعودية : مؤسسة الجريسي ت: ٤٠٢٢٥٦٤
مصر : مكتبة الإمام البخاري بالإسماعيلية - ت ٣٤٣٧٤٣ / ٠٦٤
باقي الدول : دار ابن حزم - بيروت - ت ٧٠١٩٧٤

المقـدمــة(*)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين ، وبعد :

فقد شغلت قضية المرأة في كافة المجتمعات : العلماء والأُدَباء ورجال الإصلاح شغلًا لا مزيد عليه ؛ لكونها نصف المجتمع ـ تقريبًا ـ من الناحية العددية ، ولخطورة دورها الذي تلعبه في النواحي التربوية ، والسلوكية ، والاجتماعية .

والمهتمـون بقضية المـرأة فريقـان :

○ **فريق عفيف نظيف** : حمل راية الإصلاح الاجتماعي من خلال دور المرأة الرائد في تربية النَّشء ، والاضطلاع بمهام الأسرة ، فاهتم بها اهتمامًا كبيرًا ، يليق بمكانتها ورسالتها في هذا الوجود الذي تحيا فيه ؛ لأنه يُوقن أن في صلاحها صلاح المجتمع ، وفي فسادها فساده وانهياره .

ولله در القائل :

الأُمُّ مـــدرســـة إذا أعـــددتــهـــا ... أَعْـدَدت شعبًا طيّب الأَعْرَاق

لهذا حافظ هذا الفريق على المرأة مُحَافظة الحريص على أثمن ما يمتلك ، وتلمَّسَ في رسم منهجها الأسلوب الإلهي الحكيم ، والهدي النبوي القويم ، اللَّذَيْن يأمرانها بفريضة الحجاب ، حفاظًا عليها من أعين السَّابلة ، وصيانة لرسالتها من سُبل الإغراء والفتنة ، لتبقىٰ ـ على فطرتها ـ نظيفة في نفسها ، رائدة في رسالتها ، نافعة في توجيهها .

(*) هذه مقدمة كتبانا : « حجاب المسلمة بين انتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » ، وقد اخترت منها ما يناسب هذا القسم ، وأضَفتُ إليها ما يقتضيه المقام .

والأمة التي تمتلك هذه النوعية الفريدة من النساء ، هي أمة مُؤَهَّلة للثبات مُرَشَّحة للبقاء ، يحفظ اللَّه بها العفاف ، ويرسخ بها القيم ، ويصون باستقامتها الأخلاق .

○ **وفريق آخر** : تتلمذ على أيدي المستشرقين فشكَّلوا عقله كما أرادوا ، وأفسدوا ذوقه حسب ماخططوا . فانخدع ببريق الحضارة الغربية في وقت تَخَلَّف فيه المسلمون عن إدراك رَكْبَها ، ورَاحَ يعمل ـ باسم حرية المرأة ـ على تشبُّهِ المسلمات بالكافرات ، لينصهر المجتمع الإسلامي في عاداته وسلوكه بالمجتمعات التي لا تَمُتُّ إلى عقيدتنا وقيمنا بأي صلة ، حتى لا تبقى لشريعة اللَّه الحاكمة بقية ، اللهم إلا ممارسات تعبُّدية لا يعنيهم أمرها من قريب أو بعيد ، طالما نجحوا في الإجهاز على هذا المجتمع ، والإمساك بزمامه .

* وكان أول رجال هذه المدرسة المشبوهة : « **رفاعة الطهطاوي** » الذي دعا بعد عودته من فرنسا إلى السفور ، وإباحة الاختلاط ؛ لأن ذلك ـ في زعمه ـ لا يؤدي إلى الفساد .

* وجاء من بعده القبطي الصليبي : « **مرقس فهمي** » الذي أَلَّف كتاب : « المرأة في الشرق » ، دعا فيه إلى نبذ الحجاب ، مستغلًا فرصة وقوع مصر تحت وطأة الاستعمار البريطاني .

* لكن « **قاسم أمين** » كان أشهر رجال هذه المدرسة . فقد عاد إلى مصر بعد إتمام دراسته في فرنسا ، وإعجابه بالحياة الأوربية ، وكتب كتابًا أسماه : « تحرير المرأة » ثم أعقبه بكتاب : « المرأة الجديدة » فكانت أفكاره فيهما بمثابة انقلاب على الأحكام الإسلامية الخاصة بالمرأة .

فقد دعا إلى السُّفور ؛ لأن الشريعة ـ في زعمه ـ ليس فيها نص يُوجب الحجاب على الطريقة المعهودة ، وإنما هو عادة عرضت لهم من مخالطة بعض الأمم فاستحسنوها وأخذوا بها ، وألبسوها لباس الدين كسائر العادات الضارة التي تمكنت في الناس باسم الدين ، والدين منها براء .

ـ كما نادى بتقييد الطلاق ، ومنع تعدد الزوجات ؛ إلى آخر طاماته ومخازيه ، التي استغل الدعوة لها في ظل الاحتلال البريطاني .

* لكنَّ ثالثة الأثافي كانت يوم هتكَ « **سعد زغلول** » بيده الآثمة حجاب « هدى شعراوي » في « مصر » ، أمام جمع كبير إِثْر عودته من منفاه ، تبعًا لخطة ماكرة حُبِكت خيوطها بليل[1] .

قال الأستاذ خير الدين الزركلي : « فكانت ـ يعني : هدىٰ ـ أوَّل مصرية مسلمة رفعت الحجاب »[2] . اهـ

○ وقد انتقلت عدوى السُّفور من « **مصر** » إلى البلاد الإسلامية الأخرى بفعل هؤلاء المفسدين ، وكيد أمثالهم من المارقين ، وتخطيط المستعمرين والمستشرقين ، بحيث لم تَعُد المرأة المسلمة في أكثر البلاد الإسلامية ملتزمة بمنهج اللَّه عز وجل ، اللهم إلا في أُسَر خاصة ، ضمَّت مسلمات ، مؤمنات ، قانتات ، تائبات ، عابدات ، سائحات ، يَلْتَزِمن بالحجاب الذي فرضه اللَّه على نساء المؤمنين . وتلك سُنَّة اللَّه في خلقه إلى أن يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

---

(١) انظر تفصيل ذلك في ص (٩١ - ٩٣ ، ١٠٨) من رسالتنا هذه .

(٢) الأعلام (٨ / ٧٩) .

○ وكان لتلك الدعوة إلى السُّفور أصداء واسعة سرعان ما وصلت إلى « العراق » ، فلقيت تَبَنِّيًا لها عند شاعِرَيْه : « **جميل صدقي الزهاوي** » و« **معروف الرصافي** » اللَّذين اشتهرا بالإباحية والفسوق . ولهذا رماهما جهابذة العلماء بالإلحاد والمروق[1] ؛ لعقيدتهما الفاسدة ، واعتراضهما على مافرضه اللَّه تعالى على النساء من أحكام تتعلق بالحجاب والإرث وغير ذلك[2] .

☆ ☆ ☆

ومع الأيام ازدادت الهجمة على الحجاب شَرَاسةً ، واتخذت أشكالًا متعددة ، كان منها :

١ـ **تحريف المفاهيم الإسلامية** : فقد أُلقي إليَّ كتاب أثيم ، تناول فيه مؤلفه قضايا الحجاب بجرأة يقضي منها العجب ، أطلق عليه : « تذكير الأصحاب بتحريم النقاب » للدكتور « **إسماعيل منصور جودة** » ، أستاذ الطب الشرعي والسموم والإجراآت القانونية البيْطرية بكلية الطب البيطري بجامعة القاهرة .

وقد زعم أن كتابه « وفق القواعد المستمدة من علمي الأصول والحديث » !!

وكل من قرأ هذين العلمين يرى أن المؤلف سامهما الخسف والمسخ

---

(١) انظر : موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين (١ /٢٩٠) لشيخ الإسلام مصطفى صبري .

(٢) سيأتي تفصيل ذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ في فصل : دعاة السفور في العراق ص (١٤٧ ـ ١٧٠) من هذا الكتاب .

والعدوان والظلم ، ولَوىٰ النصوص الشرعية لِيُطَوِّعها لما يشتهي ، ويُقَوِّلها ما لم تقل !!

- وانتهى إلى : « أن لبس النقاب تَكَلُّف مَحْض ؛ لأن المشقة متحققة فيه . ومخالَفَةُ العادة التي اعتادها الصحابة أنفسهم متحققة فيه كذلك . ومعلوم أن التَّكَلُّف معصية تستوجب العقاب من الله عز وجل » !! اهـ[1]

- ووصل به البهتان إلى « أن القول بتغطية وجه المرأة بغير دليل شرعي من كتاب ولا سنة يدخل في المحرمات الواردة في القرآن الكريم نصًا ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ.﴾ [الأعراف : ٣٣] [2] .

ولو كان لقول هذا المتمجهد بتحريم النقاب سلف من هذه الأمة ، أو مستند يعتمد عليه ولو كان واهيًا ، أو حكى مذاهب العلماء في وجوب ستر الوجه وعدمه بأمانة ، ونقل أدلتهم بنزاهة ، ثم اختار القول بعدم الوجوب ، لقلنا : جنح لمذهب مرجوح له فيه سلف . ولكن العجب العجاب ، اختراعه لتحريم النقاب ، ونفثه لسمومه التي تدعو إلى الاستغراب وحمله النصوص على ما لا يحتمله الصواب .

- ولم يقف هذا المتخصص في السموم والإجراءات القانونية البيطرية عند هذا الحدِّ ، بل زعم أنه بذلك يجدد أمر هذا الدين !! معتبرًا ما ذهب إليه عقيدة يلقى عليها الله رب العالمين ، ويُفَاخر الناس بها يوم القيامة ،

(١) تذكير الأصحاب بتحريم النقاب (ص / ٢٦) .

(٢) تذكير الأصحاب بتحريم النقاب (ص / ١٣٠) .

ويرجو أن ينال بها الفردوس الأعلى بما بيَّنه للمسلمين !! [١]

ـ ويتم هذا التَّبَجُّح باسم علم الأصول تارة !!! وباسم علم الحديث تارة أخرى !! وعلومُ الإسلام كلها بريئة إلى اللّٰه تعالىٰ من انتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين .

كما يُمارَسُ ذلك باسم التجديد والاجتهاد !! وأين هذا المتخصص في السموم من أدوات الاجتهاد ، بل وفهم مدارك المجتهدين ؟!! ولكن ما أكثر المدَّعين والمتمجهدين ؟!! فلا حول ولا قوة إلا باللّٰه العلي العظيم ..

٢ـ ومن أشكال الهجمة الشرسة على الحجاب : تسخير وسائل الإعلام المختلفة لتقوم بحملات ظالمة ، اتخذت طابع الحرب الإعلامية ، مَارَسَها صحفيون ، وكُتَّاب يَساريون ، بل ومؤسسات إعلامية جَنَّدت أقلامها المأجورة للنيل من هذه الفريضة الإسلامية ، والتَّنفير منها .

* فها هي الكاتبة المصرية : « **أمينة السعيد** »[٢] تهاجم المحجبات ، وتصف حجابهن بأكفان الموتى ، في مجموعة مقالات لها قامت بنشرها : « مجلة حواء » التي تصدر عن مؤسسة : « دار الهلال » المشبوهة ، التي أسسها الصليبي الهالك : « جرجي زيدان » ، الذي وقف حياته على تشويه تاريخ المسلمين ، وسيرة خلفائه المؤمنين ، بأكاذيب صاغ بها قصصه المتعددة التي كتبها بِدَافِعٍ من الحقد الدَّفين على الإسلام والمسلمين .

* وها هو المدعو « **سعيد العشماوي** » قد كتب مقالًا جمع فيه بين تحريف النصوص الشرعية بما افترى على دين اللّٰه ، وبين الهجمة الإعلامية

---

(١) تذكير الأصحاب بتحريم النقاب (ص / ٦٦) .

(٢) ماتت هذه الكاتبة يوم الأحد ١٣ / ٨ / ١٩٩٥م .

بما ساقه ضد دعاة الحجاب بل والمحجبات من الأراجيف ، زعم فيه أن : « الحجاب ليس فريضة » !!! « فلا يكون واجب التطبيق شرعًا » !!! وهو « بالمفهوم الدارج شعار سياسي ، وليس فرضًا دينيًا وردَ على سبيل الجزم والقطع واليقين والدوام في القرآن الكريم ، أو في السنة النبوية . لقد فرضته جماعات الإسلام السياسي ـ أصلا ـ لتميز بعض السيدات والفتيات المنطويات تحت لوائها عن غيرهن من المسلمات وغير المسلمات ، ثم تمسكت هذه الجماعات به كشعار لها ، وأفرغت عليه صبغة دينية كما تفعل بالنسبة للبس الرجال للجلباب ، أو الزي الهندي والباكستاني ، زعمًا بأنه زيّ إسلامي .. وقد ساعدهم على انتشار ما يسمى بالحجاب بعض عوامل ، منها عامل اقتصادي هو ارتفاع أسعار تجميل الشعر وتصفيفه ، وازديادها عن مستوى قدرة أغلب الناس » !!![1] .

فهل رأيتَ افتراءً على اللّه ، وبُهتانًا على الناس ، وتحريفًا للحقائق كهذا الافتراء والبهتان والتحريف ؟!! ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف : ٥] .

٣ـ كما أخذت الحملات الظالمة على الحجاب الإسلامي بُعدًا آخر عن طريق محاربته بقوانين الظلم ، وأساليب العسف والجور ، وفنون الإرهاب والقهر .

* فقد وقع ذلك في إحدى الدول الإسلامية في مطلع الثمانينيات ،

---

(١) مجلة « روزاليوسف » تاريخ ١٣ / ٦ / ١٩٩٤ ـ العدد [٣٤٤٤] تحت عنوان : « الحجاب ليس فريضة إسلامية » .

حيث انتشرت في شوارع المدن بعض الفرق الخاصة من الجيش تُدعىٰ : « المظليات » ، تنزع الحجاب عن رؤوس المسلمات ، مما أدى إلى وقوع مجابهات نَجَم عنها ضحايا حتى تَوَقَّف ذلك الإجراء الأثيم .

* ويُمَارس اليوم في دولة إسلامية أخرى أسوأ أشكال العنف والإرهاب ضد حجاب المرأة المسلمة ، وصدر بمنعه القانون رقم (١٠٨) ، ومما جاء فيه : « يجدر التنبيه إلى ظاهرة تتمثل في الخروج عن تقاليدنا الهندامية المتعارفة لدىٰ العموم (!!) وفي البُروز بلحافٍ يكاد يكتسي صبغة الزِّيِّ الطائفي (!!) المنافي لروح العصر ، وسنةِ التطور السليم (!!) ، والتعبير من خلال ذلك عن سلوك شاذ (!!) يتنافىٰ مع ما يفرضه قانون الوظيفة العمومية من واجب التحفظ ، وعدم التفرد والتميز عن عموم المواطنين (!!!) .

واعتبارًا لما تقدم : فالمرغوب من السادة الوزراء وكُتَّاب الدولة ، توجيه التعليمات اللازمة إلى المصالح الإدارية ، والمؤسسات العمومية ، الراجعة إليهم بالنظر ؛ كي يحافظ الأعوان على اللياقة المفروضة ، واتخاذ ما يلزم من الإجراءات لتنفيذ توصيات رئيس الدولة » .

وبعد ذلك انتشرت « قوات الأمن الوطني » في الطرقات ، مدججةً بأسلحتها ، تبحث عن المحجبات ، حتى إذا ما رأَوا أيَّ واحدة منهن نزعوا عنها حجابها ،واقتادوها للتحقيق معها ، ثم حظروا عليها التعليم والعمل ، والتداوي ، وزيارة زوجها السجين ما دَامت ترتدي حجابها . وحتى اللاتي صبرنَ واحتسبْنَ وقلنَ : ﴿ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ [يوسف : ٣٣] . مُزِّقَ الحجَاب من على رؤوسهن ، في السجون ، والمعتقلات ، والشوارع ؛ ومنعت الحوامل من الولادة في

المستشفيات حتى ينزعْنَ لباس التقوىٰ !!!

وقد نالوا من كرامة بعضهن بما تَعَفُّ عن ذكره الألسنة ، ثم أقالوهن من الوظائف . وحظروا على المؤسسات الخاصة قبول أيٍّ منهن وإلا تعرضت للمسؤولية ...

وهكذا تُنْقَضُ عُرى الإسلام على أيدي المحسوبين عليه من المُحَرِّفين والظالمين ، وطواغيت الأمة المجرمين ، مِصْداقًا لقول النبي ﷺ : « لتنقضنَّ عُرى الإسلام عُروةً عُروةً ، فكلما انتقضت عروة تشبَّث الناس بالتي تليها فَأَولهن نقضًا الحكم ، وآخرهن الصَّلاة »[1].

○ لقد عُومِلت المحجبات في بعض البلاد الإسلامية المنكوبة بهؤلاء الظلمة بما لم يُعاملن به في بلاد الغرب التي يعيش فيها عدد كبير من الجالية المسلمة .

* وغاية ما فعلته « فرنسا » قيام بعضِ مدارسها بمنع المحجبات من دخولها لكنَّ ذلك لم يحدث في الجامعات ، ولا في الطرقات ، ولا مُنعن من ممارسة حقهن في الحياة ، ولا استخدمت ضدهن وسائل الإرهاب والقهر ؛ بل حدث ما لا يكاد أن يُصَدَّق في بعض البلاد الإسلامية التي نكبت بطواغيت غلبوها على أمرها ، وعملوا على وَأْدِ دينها وكرامتها ، ووضعوا أنفسهم في خدمة أعدائها .

---

(١) أخرجه أحمد (٥ / ٢٥١) ومن طريقه الطبراني (٧٤٦٨) وابن حبان (٦٧١٥ - الإحسان) والحاكم (٤ / ٩٢) من حديث أبي أُمامة . وأورده الهيثمي في المجمع (٧ / ٢٨١) : ونسبه لأحمد والطبراني ، وقال : « رجالهما رجال الصحيح » . وبَوَّب عليه ابن حبان بقوله : « ذكر الأَخبار بأن أَوَّل مايظهر من نقض عُرى الإسلام من جهة الأُمراء : فساد الحكم والحكام » اهـ .

○ ورغم ما يُفْرض على هذه الشعوب المنكوبة لإماتة شعورها الإسلامي فإن اليقظة تتنامى في كل بقعة ، والصحوة الإسلامية تمتد إلى كل مكان ، ويتزايد التزام الرجال والنساء بالإسلام بعد أن أدركوا بأنفسهم ما تعانيه الأمة من ضياع ، وتخبط في التيه ، وتمرغ في أوحال الرذيلة ، في ظل الأيديولوجية الغربية أو الشرقية ، التي ابتليت بهما كثير من البلاد الإسلامية ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة : ٣٢] .

○ لقد وجد العائدون إلى اللَّه في رحاب دينه راحة لنفوسهم ، وملاذًا لأرواحهم ، وطمأنينة لقلوبهم ، جعلتهم أكثر تمسكًا بما يعتقدون ، وأشد اعتزازا بما يدينون ، فامتلأت المساجد بالمصلين ، وتضاعف عدد الملتزمين ، وانتشر الحجاب والنقاب في كثير من بلاد المسلمين ، بحيث أصبح ذلك يُمَثِّلُ عودة واضحة إلى اللَّه رب العالمين .

لكن هذه الصحوة الإسلامية التي عَمَّت شرق العالم الإسلامي وغربه لم تَزِد أعداء الإسلام إلا خوفًا وقلقًا ، فأقبلوا بخيلهم ورَجِلهم ، وبصحفهم ومجلاتهم ، وبعسفهم وجورهم ليوقفوا هذا المد الإسلامي الهادر ، وَلِيَحُولُوا دون صحوة بعض الشباب السادر .

☆ ☆ ☆ ☆

على أن علماء المسلمين ، ورجال الدعوة المخلصين ، يطلقون صرخات التذكير والإصلاح ، لتستيقظ الضمائر ، وتستقيم السرائر .

وموضوعنا هذا ـ الذي هو بتقسيمنا الجديد الرسالةَ الخامسةَ من كتابنا « حجاب المسلمة بين انتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » الذي سبق صدوره

في عام ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م - ما هو إلا صرخة من هذه الصرخات وجهد علمي متواضع ، يهدف إلى تلك الغاية النبيلة ، ويضع يده على تلك المؤامرات الدنيئة التي حُبكت خيوطها بليل ، لتقضيَ على عفاف المرأة وانتمائها لدينها .

لقد تعرضتُ لهذه المؤامرات ، فبيَّنتُ نشأتها ، وكشفتُ عُوار دعاتها ولم أتهيَّب شُهرة الأسماء ، ولا ضخامة الألقاب ، حتى وإن تسربل بعضُ أصحابها سرابيل العلماء ، ولبس جلابيب الفقهاء ، فإن الحق عندي أكبر من آراء الرجال .

واللَّهَ الكريمَ أسأل أن يتقبل مني هذا العمل ، ويجعله ذخيرة لي يوم الدين ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء : ٨٨ ، ٨٩] .

والحمد للَّه رب العالمين

الدانمارك : ٢٥ / ٣ / ١٤١٩ هـ **د . محمد فؤاد البرازي**

٢٠/ ٨ / ١٩٩٨ م

مؤامرات على الحجاب

مخاطر الابتعاث .

دعاة السفور في مصر .

دعاة السفور في العراق .

مخاطــر الابتــعاث

مخاطـــــر الابتـــعاث

لا أعلم حُكْمًا من أحكام الإسلام فُوِّقتْ نحوه السهام ، ولقي كثيرًا من مؤامرات المستعمرين والمنحرفين واللئام ، ما لقيه تحكيم شريعة اللَّه في الأرض ، وما عاناه نظام الأسرة المسلمة من هجوم ونقض ، وعلى الأخص منه : حجاب المرأة الذي يصون النفس ، ويحفظ العرض .

ولعل سبب تلك الهجمة الشرسة ما لمسه أولئك الأعداء من تلازم بين هذين الأمرين ، وترابط بين هاتين القضيتين .

فتحكيم شريعة اللَّه في الأرض ، والأخذ بأسباب القوة كما أمر اللَّه عز وجل ، يحفظ الأمة من شر أعدائها ، وينصرها على المتربصين بها ، ويجعلها في موضع الصدارة بين الأمم ، ويقطع الطريق على أصحاب المنافع والأهواء ، ويسدُّ المنافذ على أرباب النفوذ والجاه الذين يقامرون بمصالح الأمة في سبيل الحفاظ على مكاسبهم ونفوذهم ، ويجترحون السيئات للوصول إلى غاياتهم ، ومطامعهم ، ويركبون الصعب والذلول لتجنيد ضعفاء النفوس في صفوفهم .

والأسرة المسلمة هي اللبنة الأساسية في بناء المجتمع الإسلامي ؛ وحجاب المرأة جزء هام من تلك اللبنة ، يصونها من غوائل السوء ، ويحفظها من لصوص الأعراض ، ويقي حياءها من الخدش ، ويحفزها إلى نقاء الروح ، وصلاح النفس ؛ كما يحفظ شخصيتها من الذوبان في المجتمعات الأخرى ...

لهذا كان الاستعمار شديد الحرص على نزع حجاب المسلمات ليصل إلى ما يتمناه من تلك المجتمعات المسلمة .

قال المرحوم « محمد طلعت » في كتابه : « المرأة والحجاب » : « إن رفع الحجاب ، والاختلاط ، كلاهما أمنية تتمناها أوربا من قديم الزمان ، لغاية في النفس يدركها كل من وقف على مقاصد أوربا بالعالم الإسلامي »

وقال أيضا : « إنه لم يبق حائل يحول دون هدم المجتمع الإسلامي في الشرق ـ لا في مصر وحدها ـ إلا أن يطرأ على المرأة المسلمة التحويل . . بل الفساد الذي عم الرجال في الشرق »[1]. اهـ

وحين تكون أمهات الجيل على جانب كبير من النقاء والطهر والعفاف فإنهن يُخَرِّجْنَ أجيالا يعتزون بدينهم ، ويطاولون السماء بقيمهم وأخلاقهم

وأمة تعتز بدينها ، وتأخذ بأسباب القوة في جميع شؤونها ، وتتمسك بأخلاقها ، وتحافظ على قيمها ، أمة لا يقهرها ـ بإذن اللّه ـ قاهر ، ولا يغلبها ـ بمشيئته ـ غالب . لهذا كان مفتاح قوة المجتمع أو ضعفه ، وتماسكه أو تفسخه ـ بعد الحكم الذي يحمي العقيدة ـ هو المرأة ؛ لأنها عامل هام في استقرار القيم والأخلاق ، أو في اهتزازها وفسادها ، ومتى اهتزت القيم الصالحة في أمة ، فإنها تؤول إلى الزوال ، وقديما قال الشاعر :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

لقد أدرك أعداء المسلمين أهمية القضيتين السابقتين ، فعملوا جادِّين ، وتآمروا مجتمعين حتى أسقطوا الخلافة ، ومزقوا الجسد الإسلامي الواحد إلى أجزاء ، مختلفة في الرأي ، متباينة في أصول الحكم ، متخاصمة في كثير من الأحيان إن لم نقل في جميع الأوقات . ثم حاربوا كل صحوة إسلامية

(١) نقلنا ما جاء في كتاب « المرأة والحجاب » من رسالة : « الحركات النسائية في الشرق » ص / ١١ .

مخافة أن يتحرر المسلمون من سيطرة عدوهم ، ثم يعودوا إلى غابر عزهم ، وسالف مجدهم .

كما أنهم عرفوا ما في الحجاب من وقاية للمجتمع ، ومحافظة عليه من الذوبان في غيره ، فوجهوا نحوه سهامهم ، وألَّبوا عليه جموعهم ، وأجلبوا عليه بخيلهم ورَجِلهم حتى وصلوا إلى ما يريدون ، وحققوا ما ينشدون .

وباسم حرية المرأة عمل المتفرنجون المخدوعون ببريق حضارة الغرب على تشبه المسلمات بالكافرات ، والمخدَّرات بالسافرات ، لتكون المرأة وسيلة لتحقيق أهوائهم ورغباتهم ، بعد تجريدها من مكانتها ، وتحطيم قيمها وأخلاقها ، ثم الوصول إلى تقويض الأسرة ، وصهر المجتمع الإسلامي في عاداته وسلوكه بالمجتمعات التي لا تَمُتُّ إلى عقيدتنا وقيمنا بأي صلة ، حتى لا تبقى لشريعة اللّٰه بقية ، إلا ممارسات تعبدية لا يعنيهم أمرها من قريب أو بعيد طالما نجحوا في الإجهاز على هذا المجتمع ، والإمساك بزمامه ، وإبعاده عن شريعة ربه .

ولم تجد أفكار هؤلاء قبولًا لولا حالة التدهور التي وصلت إليها الدولة الإسلامية آنذاك ، وأَدَّتْ إلى احتلال الغرب لكثير من بلاد المسلمين .

وعن هذا التدهور وما تلاه أنقل لك بتصرف واختصار ما حكاه الدكتور « محمد محمد حسين » في كتابه : « الإسلام والحضارة الغربية » فيقول : « ... وأمام هذا الشعور بالخطر بدأ الإحساس بضرورة تعزيز الجيوش في البلاد الإسلامية ، وتطلع المسلمون إلى الأخذ بأساليب البلاد الغربية في تنظيم جيوشها وتسليحها ، وعزموا على نقل العلوم الغربية لتحقيق هذا الهدف الحربي . واتخذ هذا النقل طريقين :

ـ أُرسِلتْ بعثات إلى البلاد الأوربية في بعض الأحيان .
ـ واستُقدِمَ أساتذة وخبراء غربيون في أحيان أخرى للتدريس في المعاهد العلمية على اختلاف أنواعها ودرجاتها ، وللتخطيط للنهضة الحربية المأمولة

على أن بعض حكام المسلمين كان يتجاوز بالإصلاح حدود الاحتياجات الحربية والتنظيم الصناعي والاقتصادي والإداري ، ويعملون على أن تصبح بلادهم جزءًا من العالم الغربي ..

ومع حرص بعض المصلحين من ولاة أمور المسلمين على أن يجري الإصلاح في حدود الخبرات الفنية التي تتصل بالجيش والصناعة والزراعة والاقتصاد ، والتنظيم الإداري ، فإن الأمور قد تجاوزت الحدود التي أرادوها وقدروها . فلم يكن في تقدير « محمد علي » ـ والي مصر الذي أنشأ المدارس الحربية والبحرية ، واستقدم بعض المهندسين ، وأقام جيشا حديثا مدربا على النظام الأوربي ـ لم يكن في تقديره أن يتعلم مبعوثوه أكثر من الخبرات التي بعثوا لتحصيلها ، ولذلك كانوا يوضعون تحت رقابة دقيقة . لكن ذلك لم يَحُل دون دخول الأفكار الأوربية الجديدة التي لم يُرِدْها مع المهارات الفنية التي أرادها . فقد كان هؤلاء المبعوثون الذين أرسل أكثرهم إلى فرنسا يقرؤون الكتب الفرنسية ، ويشاهدون الحياة الفرنسية في أحفل العصور بالصراع الفكري الذي يصحب الثورات ، وقد احتل هؤلاء المبعوثون من بعدُ مكان الصدارة والقيادة في مختلف الميادين ، وبدؤوا يترجمون منذ عام (١٨٣٠) ، وينشرون كتبا في غير ما تخصصوا فيه من فنون ، ومع المعلمين الذين استقدمهم « محمد علي » للمدارس ، ومع الفرنسيين منهم بخاصة ، جاءت أفكار

فولتير ، وروسو ، ومونتسكيو ، الذين وجدت مؤلفاتهم في مكتبة إحدى المدارس المصرية في سنة (١٨١٦) .

وقد تعاون العائدون من أعضاء البعثات في مصر مع البعثة الفرنسية من أتباع « سانت سيمون » التي استقدمها « محمد علي » في العقد الرابع من القرن التاسع عشر ، فأقامت في مصر بضع سنوات ، تنظم مرافق الدولة في مختلف النواحي الهندسية والطبية والتعليمية .

وكان تلاميذ « سانت سيمون » متأثرين بآرائه الثورية في تنظيم المجتمع على أساس علمي يحل فيه العقل أو رهبانية العلم ـ على حدِّ تعبير « سانت سيمون » ـ محل الدين .

ومن الحق أن هذه النظرية وأمثالها لم تكن تروق في نظر الحاكم الذي لم يكن يريد إلا الحصول على أسباب القوة الحربية والاقتصادية التي هي في نظره سر تفوق أوربا . ولكن طول معاشرة المصريين لأعضاء هذه البعثة لابدَّ أن يترك أثرا في تفكيرهم .

وتأثُّر أعضاء البعثات بما شاهدوه في المجتمع الأوربي واضح فيما كتبوه أثناء إقامتهم في أوربا أو بعد عودتهم منها ، ونستطيع أن نلمس ذلك على سبيل المثال في عضوين من الجيل الأول لهؤلاء المبعوثين :

ـ أحدهما : مصري أقام في باريس خمس سنوات من (١٨٢٦ إلى ١٨٣١) وهو « رفاعة الطهطاوي » .

ـ والآخر : تونسي أقام في باريس أربع سنوات : (١٨٥٢ ـ ١٨٥٦) وهو « خير الدين التونسي » .

ونستطيع أن نجد فيما كتبه كل منهما آراء مشتركة ، هي صدًى لتفكير

القرن الثامن عشر في أوربا وفي فرنسا الثائرة بوجه خاص ، وهي آراء تظهر للمرة الأولى في المجتمع الإسلامي . وقد وضعا البذور التي تعهدها من جاء بعدهما بالسقي والرعاية حتى نمت وضربت جذورها في الأرض .

وربما عُرِضَت بعض هذه الآراء عرضًا سريعًا عاجلًا قد يبدو ضئيل الخطر ولكن أهمية « الطهطاوي » و « خير الدين » ترجع إلى أنهما قد جلبا هذه الجذور الغربية وألقياها في التربة الإسلامية »[1]. اهـ

ويهمنا في هذا المجال ما جاء حول المرأة لأنه محور حديثنا ، مع اعتقادنا أن كل فكرة جاءا بها من الغرب تحتاج إلى معالجة في كتاب مستقل لما تركت من آثار سيئة في المجتمع الإسلامي .

○○○○

(١) الإسلام والحضارة الغربية (ص / ١٤ ـ ١٩) بتصرف واختصار .

دعـاة السـفـور في مصر

دعـاة السـفـور في مصر

تعتبر مصر من أهم مراكز التأثير في العالم العربي بل والإسلامي كله ، لما لها من موقع متميز يَسهُلُ عن طريقه انتقال الأفكار والمواقف ، ودورٍ مؤثر في تاريخها الإسلامي الطويل .

وقد تنبَّهَ الغربيون لذلك ، فاهتموا بها اهتمامًا كبيرًا لا يكاد يفوقه إلا اهتمامهم بتركيا يوم أن كانت عاصمة الخلافة الإسلامية . وليس هناك من شك أن مصر كانت مسرحًا لقضايا خطيرة ، ومَنبتًا لكثير من المواقف والرجال التي أثَّرت في عالمنا الإسلامي أعظم تأثير .

وموضوع سفور المرأة ـ الذي نحن بصدده ـ هو أحد القضايا الخطيرة الذي كانت مصر منطلقًا له ، ومسرحًا لأداء ذلك الدور الذي كان له أعظم الخطر في تاريخنا الحديث .

* فمنها خرج « **رفاعة الطهطاوي** » الذي بدأ إثر عودته من فرنسا يمهد للتبرج والاختلاط ، وينفي أن يكون ذلك داعيًا إلى الفساد . وكان معجبًا بمراقصة الرجال للنساء ، معتبرًا ذلك فنًا من الفنون ، غَير خارج عن قوانين الحياء .

* وعلى أرضها درج « **مرقس فهمي** » الذي طالب بالقضاء على الحجاب الإسلامي ، ودعا إلى الزواج بين المسلمات والأقباط ، إلى غير ذلك من أفكاره التى تجدها فى محلها من هذا الكتاب .

* وفيها نبتت « **الأميرة نازلي فاضل** » ، فوثقت علاقتها مع « اللورد كرومر » وفتحت ناديها « لسعد زغلول » و « قاسم أمين » ، وغيرهما لتنظيم جهودهم ضد الآداب والتقاليد الإسلامية .

* وفيها نشأت « **هدى شعراوي** » التى كانت أول مصرية مسلمة تتمرد علانية على أحكام الله فتخلع الحجاب ، وتنشط في تكوين « الاتحاد النسائي المصري » الذي يدعو إلى منع تعدد الزوجات ، وتقييد الطلاق ، وإلغاء بيت الطاعة .

* ومنها انطلق « **قاسم أمين** » الذي لقبوه بـ « محرر المرأة » !!!

فكان بمثابة قنبلة فجرت في عالم المرأة كل شيء بما نشره في كتابَيه : « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » من دعوة الى رفع الحجاب لأنه يحول بينها وبين العالم الحي ، ويجعلها لا ترىٰ ولا تسمع ولا تعرف إلا ما يقع في عالمها الضيق من سفاسف الأمور ، إلى غير ذلك من الأفكار التي طرحها وتجدها في المبحث الخاص بها ، والتي كان لها أسوأ الأثر في مصر . ثم امتدت عَدْوَاها إلى معظم بلاد المسلمين ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم !

* وعلى ثراها درجت « **أمينة السعيد** » التي تأثرت بالمستغرب المأفون « طه حسين » أشد التأثر ، وراحت تُهاجم المحجبات ، وتزدري بالحجاب ، وتتطاول على قانون الأحوال الشخصية ، وتحرض النساء على النشوز ، والفتيات على الانحلال .

* وفي كنفها ، ترعرعت « **نوال السعداوي** » التي تزعم أن الحجاب استعباد للمرأة ، وإذلال لها وتطالب بانتساب الإنسان لأمِّهِ لا لأبيه (!!!) لأن الأبوة ـ على زعمها ـ مشكوك فيها دائمًا (!!!) .

وتقول : لنفرض أنني سافرت على باخرة ، وصادف أن يكون في غرفتي رجل يحجز سريرًا في نفس الغرفة .. ماذا أفعل ؟ هل أترك له الحجرة ؟! .. لا .. لا بد أن أكون متمردة على كل القيود ، وواثقة بنفسي .

* وهناك آخرون من دعاة السفور كان لهم أسوأ الأثر على المرأة المسلمة غير أننا سنقسم هذا الفصل إلى عشرة مباحث نتناول فيها أبرز هؤلاء ونبين دورهم في هذا المضمار ، لتتضح الصورة لذي عينين :

المبحث الأول : رفاعة الطهطاوي .

المبحث الثاني : الأميرة نازلي فاضل .

المبحث الثالث : مرقس فهمي .

المبحث الرابع : قاسم أمين .

المبحث الخامس : سعد زغلول .

المبحث السادس : هدى شعراوي .

المبحث السابع : سيزا نبراوي .

المبحث الثامن : درية شفيق .

المبحث التاسع : أمينة السعيد .

المبحث العاشر : نوال السعداوي .

☆ ☆ ☆

المبحث الأول

رفاعــــة الطـهـطــاوي

« ١٢١٦ ـ ١٢٩٠ هـ = ١٨٠١ ـ ١٨٧٣ م »

هو واعظ مصري . صحب البعثة المصرية المتوجهة إلى فرنسا كإمام لها غير أنه فُتِنَ بأفكار الثورة الفرنسية ، لِمَا كان عليه المجتمع الإسلامي ـ آنذاك ـ من ضعف ديني ، وتخلف سياسي .

وحين عاد إلى مصر حمل معه الروح الجديدة المتأثرة بالفرنسيين وعاداتهم ، خصوصاً فيما يتعلق بالمرأة ، فكتب ثلاثة كتبٍ كانت بذور الدعوة الأولى لما يسمىٰ : بـ « تحرير المرأة » .

وهذه الكتب هي :

١ ـ تخليص الإبريز في تلخيص باريز .

٢ ـ مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية .

٣ ـ المرشد الآمين للبنات والبنين .

وقد أورَدَ رفاعة الطهطاوي كلامًا كثيرًا عن المرأة لا شك أنه من وحي الحياة الاجتماعية الأوربية ، مثل : منع تعدد الزوجات ، وتحديد الطلاق ، واختلاط الجنسين .

وسنذكر خلاصة لبعض آرائه في ذلك كما أوردها الدكتور « محمد محمد حسين » رحمه اللّه تعالى ، فقال :

« تكلم الطهطاوي في كتابه « تخليص الإبريز في تلخيص باريز » عن الطلاق الذي لا يتم عند الفرنسيين إلا أمام المحكمة بإقامة دعوى الزنى . « ص/ ١٢٢ » .

وتكلم عن عاداتهم في اختلاط الرجال بالنساء ، فنفى أن يكون الاختلاط والتبرج داعيا إلى الفساد ، أو دليلا على التساهل في العرض ، حيث يقول : « ولا تظن بهم أنهم لعدم غيرتهم على نسائهم لا عرض لهم في ذلك .. لأنهم وإن فقدوا الغيرة لكنهم إذا علموا عليهن شيئا كانوا شر الناس عليهن وعلى أنفسهم ، وعلى من خانهم في نسائهم . غاية الأمر أنهم يخطئون في تسليم القياد للنساء ، وإن كانت المحصنات لا يخشى عليهن شيء » . « ص/٣٠٤ » هكذا يدعي .

ثم راح يمهد لإقامة المسارح ، والإعجاب بها ، فقال في « تخليص الإبريز » ص /١٦٦ : « ومن العجائب أنهم يقولون مسائل في العلوم الغريبة ، والمسائل المشكلة ، ويتعمقون في ذلك وقت اللعب » ، ثم قال بعد وصف الممثلين والمناظر : « وبالجملة فالتياترو [1] عندهم كالمدرسة العامة يتعلم فيها العالم والجاهل » .

ودافع الطهطاوي عن مراقصة الرجال للنساء حين وصف (محال الرقص المسماة : البالِ) فقال في « ص / ١٦٨ » : « إن الرقص عندهم فن من الفنون ، وقد أشار إليه المسعودي في تاريخه المسمى : « مروج الذهب » فهو نظير المصارعة في موازنة الأعضاء ، ودفعِ قُوى بعضها إلى بعض ، فليس كل قوي يعرف المصارعة ، بل قد يغلبه ضعيف البنية بواسطة الحيل المقررة عندهم ، وما كل راقص يقدر على دقائق حركات الأعضاء ، وظهر أَنَّ الرقص والمصارعة شيء واحد يعرف بالتأمل .

(١) كلمة فرنسية عُرِّبت أخيرًا بكلمة : « المسرح » .

ويتعلق بالرقص في فرنسا كل الناس ، وكأنه نوع من العِياقة والشَّلْبنة لا الفسق[١]. فلذلك كان دائمًا غير خارج عن قوانين الحياء . بخلاف الرقص في أرض مصر ، فإنه من خصوصيات النساء ، لأنه لتهييج الشهوات . أما في باريس فإنه نطٌّ مخصوص لا يُشم منه رائحة العهر أبدًا . وكل إنسان يَعزم امرأة يرقص معها ، فإذا فرغ الرقص عزمها آخر للرقصة الثانية ، وهكذا وسواء كان يعرفها أو لا » .

ثم يؤكد الطهطاوي في كتابه « ص/ ٣٠٥ » أن السفور والاختلاط بين الجنسين ليس داعيا إلى الفساد ، وأنَّ مَرَدَّ الأمر كله إلى التربية ، فيقول : « إن نوع اللخبطة بالنسبة لعفة النساء لا يأتي من كشفهن أو سترهن ، بل منشأ ذلك التربية الجيدة والخسيسة ، والتعود على محبة واحد دون غيره ، وعدم التشريك في المحبة ، والالتئام بين الزوجين » .

والأخطر من ذلك كله هو ما قرره الطهطاوي في كتابه : « المرشد الأمين للبنات والبنين » في فصل عَقَدَهُ للكلام عن « تمدن الوطن » حين ذهب إلى أن مدنية أوربا الحديثة التي تقوم على العقل تحقق النتائج نفسها التي تهدي إليها مدنية الدين[٢]..

بهذا الاستعراض السريع لتلك الآراء تتبين شخصية « رفاعة الطهطاوي » ومدى تأثره الكبير بعادات الفرنسيين ، ومحاولته نقل ذلك إلى مصر ، مما يؤكد أنه صاحب البذرة الأولى لما عُرِف من بعد بتحرير المرأة .

○ ○ ○ ○

---

(١) « العياقة والشلبنة » كلمتان عاميتان تعنيان : « الأناقة والفتوة » .

(٢) الفصل الأول من كتاب : « الإسلام والحضارة الغربية » باختصار .

المبحث الثاني

الأميرة نازلي فاضل

ـ ١٩١٤ م

الأميرة « نازلي فاضل » هي ابنة الأمير « مصطفى فاضل باشا » أخي « الخديوي إسماعيل » وولي عهده ؛ وكلاهما نجل « إبراهيم باشا » الكبير .

كان والدها « مصطفى فاضل » يعتبر نفسه أحق بعرش مصر من أخيه « الخديو إسماعيل » الذي سعى لدى السلطان حتى جعل وراثة العرش لأكبر أبنائه « عباس » ، وبذلك حرم أخاه من هذه الوراثة . ومن هنا كانت الأميرة « نازلي » تعلن الحرب على « الخديو عباس »(١).

وقد اهتمَّ والدها « مصطفى فاضل باشا » بتربيتها ، فدرست على أيدي مجموعة من الأساتذة الأوربيين .

ولما رافقت والدها إلى « الآستانة » تزوجت من « خليل باشا » وزير خارجية السلطان الذي عُيِّنَ بعد ذلك سفيرًا للدولة العثمانية في بعض العواصم الأوربية .

وكانت « نازلي » تتقن الإنجليزية والفرنسية والألمانية والتركية إلى جانب العربية ، فأفسحت لها الصالونات الأوربية في مجالسها ، والتقت من خلالها بكبار رجال السياسة .

ولكنَّ موت زوجها ، وإفلاس والدها الذي كان يقيم في باريس جعلاها

---

(١) جريدة المساء ، الخميس ٤ أغسطس / آب ١٩٨٣ م ، من مقالة : « هل انتحر محرر المرأة » ؟ للصحافي « مصطفى أمين » ، نقلًا عن كتاب : « عودة الحجاب » القسم الأول ، ص / ١٧ مع إضافات أخرى .

تعود إلى مصر في عهد الخديوي توفيق ، وبعودتها إلى مصر نقلت معها فكرة الصالونات المختلطة .

وقد وجدت دعوة « تحرير المرأة » في مصر نواتها الأولى من النساء حين عادت إلى مصر بعد الاحتلال ، ووثقت روابط ودها مع « اللورد كرومر » ، وفتحت ناديها لشخصيات مشهورة من رجال السياسة ، والوزراء ، وكبار القوم ، كما أفسحت المجال للأفغاني وتلاميذه ، أمثال : « محمد عبده » ، و « سعد زغلول » ، و « فتحي زغلول » ، و « محمد إبراهيم المويلحي » ، و « أديب إسحاق » و « سعيد البستاني » و « محمد بيرم » ، و « اللقاني » ، و « قاسم أمين » ، حيث كانت هي الوحيدة في « مصر » التي تختلط بالرجال ، وتجالسهم في صالونها الذي افتتحته - آنذاك - ليكون مركزًا تَبُثُّ منه الدعوة إلى « التغريب » عامة ، وإلىٰ ما يُسمُّونه « تحرير المرأة » على وجه الخصوص ، فكانت بذلك أول امرأة شرقية تجالس الرجال سافرة ، مما دعا مجلة « فتاة الشرق » أن تطلق عليها لقب : « زعيمة حزب السفور »[١].

ولما وطَّدَ « اللورد كرومر » أقدامه في مصر صار من رواد صالونها ، كما كان « سعد زغلول » وكيلًا لها .

وقد كان بعض المذكورين آنفًا محل غضب من الخديوي ، لنزعتهم المعادية لآداب الإسلام وتقاليده ، فكانت الأميرة المذكورة تسعى لتأييد هؤلاء في « قصر الدوبارة » - مقر المندوب السامي الإنجليزي - ضد قصر

---

(١) فتاة الشرق ، السنة الثامنة ، الجزء الرابع ، يناير - كانون الثاني / ١٩١٤ م ، ص / ١٥١ .

عابدين ، وتعمل لترقيتهم رغم القصر ، وكانوا هم يعتمدون عليها في كل أمر يقتضي تدخل البريطانيين المستعمرين ضد حاكم البلاد الشرعي .

وقد اتخذت من المعتمد البريطاني أداة لحماية رواد هذه الدعوة ، وتعبئتهم لتوجيه هذه الحركة متى أمكن ذلك .

وهكذا كان تكوين هذا الصالون بمثابة إيجاد المركز الضروري لتعبئة أذناب الاحتلال ، وتنظيم جهودهم ضد الآداب والتقاليد الإسلامية[١].

أما سلوك هذه الأميرة الشخصي فقد كان مُتَفَلتًا من ضوابط الدين وعادات المجتمع ، « وكان لها شغف بالضباط الإنجليز ، وكانت تحيي ليالي موسيقية ، وتكثر من شرب الخمر »[٢].

واستمرت على دعوتها ، وجمعِ أصحاب النفوذ من حولها ، حتى ماتت يوم ٢٨ / ١ / ١٩١٤ م .

○○○○

---

(١) انظر : « الحركات النسائية في الشرق وصلتها بالاستعمار والصهيونية العالمية ص / ١٢ - ١٣ و « الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية » ص / ٢٤٠ - ٢٤١ ، وقضايا المرأة في الشعر العربي الحديث ص / ٧٨ - ٨١ .

(٢) مذكرات « محمد فريد » نقلًا عن كتاب : سعد زغلول ودوره في السياسة المصرية ص / ٣٥ لعبد الخالق لاشين .

المبحث الثالث

مـرقس فـهمـي

« ١٢٨٧ ـ ١٣٧٤ هـ = ١٨٧٠ ـ ١٩٥٥ م »

هو محام مصري نصراني متعصب ، كان مواليا لـ « كرومر » ، ومعتمدا في حمايته على النفوذ البريطاني ، مما سَهَّلَ له الطريق لطعن الإسلام في عقر داره . لهذا أصدر في سنة « ١٨٩٤ » م كتابا بعنوان : « المرأة في الشرق » كان بداية مبكرة للتآمر على نظام الأسرة في الإسلام بصفة عامة ، والحجاب على وجه الخصوص . وكان فيما كتب اللسان الناطق للاستعمار فيما يريده من هذه الأمة .

وقد دعا في كتابه العاثر ـ ولأول مرة في تاريخ مصر ، بل والبلاد الإسلامية عامة ـ إلى تحقيق الأهداف التالية :

أولا : القضاء على الحجاب الإسلامي .

ثانيًا : إباحة الاختلاط للمرأة المسلمة بالأجانب عنها .

ثالثًا : تقييد الطلاق ووجوب وقوعه أمام القاضي .

رابعًا : منع الزواج بأكثر من واحدة .

خامسًا : إباحة الزواج بين المسلمات والأقباط .

وما أن ظهر هذا الكتاب حتى أحدث ضجة عنيفة ، خاصة وأن أحكام الإسلام صار يتحدث عنها ـ بتحريف وتخريف ـ صليبي حاقد ، ربيبُ الاستعمار ، وصديق اللورد كرومر .

وقد أدت هذه الضجة إلى أن يلجأ الاستعمار إلى صالون « نازلي فاضل » ليستعجلها في عمل شيءٍ يشد من أزر « مرقس فهمي » ، خاصة

وقد ظهر من خلال هذه الضجة كتاب ألفه « اللورد داركير » حمل فيه على نساء مصر والإسلام ، وهاجم الحجاب الإسلامي ، وقرار المرأة المسلمة في البيت ، واقتصار وظيفتها على تربية النشء ، ورعاية الزوج ..

كما هاجم فيه المثقفين من أبناء مصر على سكوتهم .. وكان من أثر ذلك ما نبينه في المبحث التالي إن شاء اللّٰه تعالى[١] .

ο ο ο ο

(١) انظر : الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية ص / ٢٤٥ ، الحركات النسائية في الشرق ص / ١٣ ـ ١٤ ..

المبحث الرابع



قاسم أمين

« ١٢٧٩ - ١٣٢٦ هـ = ١٨٦٣ - ١٩٠٨ م »

المطلب الأول

بواعث تأليف كتاب « تحرير المرأة »

كان للضجة التي أحدثها كتاب « مرقس فهمي » دوي هائل في أوساط المسلمين ، وزادت غيرتهم تأججا حين أعقب ذلك مباشرة ظهور كتاب « اللورد داركير » الذي تضمن هجوما على المصريين ، فانتهز « قاسم أمين » فرصة اختلافه مع الأميرة « نازلي فاضل » ، وتصدى للرد على « داركير » في كتاب باللغة الفرنسية اسمه « المصريون » ، فَنَّدَ فيه تلك الاتهامات ، وبَيَّنَ فضائل الإسلام على المرأة المصرية ، ورفع من شأن الحجاب ، وعدَّه دليلًا على كمال المرأة ، وندَّدَ بالداعيات إلى السفور .

وقد حاول شرح الحكمة الإيجابية في قوانين الشرع الإسلامي ، إلا أنَّ دفاعه قد بدا تبريريًا ، وشرحَهُ اتَّسمَ بالخنوع والذلة .

ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ « قاسمًا » استنكر فيما كتب خطة بعض السيدات المصريات اللائي يتشبهن بالأوربيات ، فاقتنص بعض خصومه الفرصة ، ووشوا به إلى الأميرة « نازلي » بأن « قاسمًا » إنما يعنيها هي بهذا التعريض بذم المصريات اللائي يقلدن الإفرنجيات ، ويَسِرنَ سيرتهن ، لأنه لم يكن في نساء مصر آنذاك من يتشبه بالنساء الأوربيات غيرها ، فقد كانت الوحيدة التي تختلط بالرجال ، وتجالسهم في صالونها الذي افتتحته آنذاك ليكون مركزًا تبث منه الدعوة إلى التغريب عامة ، وإلى « تحرير المرأة »

خاصة ، كما سبقت الإشارة إليه .

ومن المعروف أن هذا الصالون كان يحضره « سعد زغلول » ، « ومحمد عبده » وجماعة من الطامحين في زعامات سياسية في ظل الاستعمار البريطاني ، ورعاية « المندوب السامي » .

وقد غضبت الأميرة مما فعله « قاسم أمين » ، فاختلفت مع « الشيخ محمد عبده » ، وقالت له قولًا شديدًا بعد أن هددت وتوعدت .

يقول « داود بركات » رئيس تحرير جريدة الأهرام بعددها الصادر في مايو ١٩٢٨ : « وقد أشير إلى جريدة المقطم ، وهي لسان الإنجليز في مصر في ذلك الوقت أن تكتب ست مقالات عن الكتاب ، تفند أخطاء « قاسم أمين » في هذا الاتجاه ، ودفاعه عن الحجاب ، واستنكاره اختلاط الجنسين ..

ثم أوقفت الحملة بعد اتفاق الشيخ « محمد عبده » ، و« سعد زغلول » مع « قاسم أمين » على تصحيح رأيه !!!

ومن ثمَّ اقتنع « قاسم أمين » بضرورة إصلاح خطئه (!!!) بكتاب ينشره يكذب فيه نفسه بنفسه ، ويؤيد « الكونت داركير » في أقواله ، ويُعزِّز ما جاء في كتاب : « المرأة في الشرق » لـ « مرقس فهمي » .

وهكذا أخرج في سنة « ١٨٩٩ » م مؤلفه المعروف بـ : « تحرير المرأة » ، الذي دعا فيه إلى ما سبق أن دعا إليه الصليبي الحاقد « مرقس فهمي » بحذافيره ، اللهم إلا أنه لم يتعرض لمسألة زواج المسلمات من الأقباط[1] .

وسترى في « المطلب الثاني » إن شاء اللَّه تعالىٰ عرضاً لما جاء في هذا الكتاب .

---

(١) انظر : الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية (ص / ٢٤٥ ـ ٢٤٦) ، وعودة الحجاب ، القسم الأول (ص / ١٩ ـ ٢١) .

المطلب الثاني

كتاب « تحرير المرأة »

ليس من نافلة القول إذا أكّدنا أنه لم تمضِ سنوات خمس على صدور كتاب « المرأة في الشرق » « لمرقس فهمي » حتى أخرج « قاسم أمين » كتابه الأثيم « تحرير المرأة » سنة « ١٨٩٩ » م ، إرضاءً للأميرة « نازلي فاضل » . وفي هذا يقول « فارس نمر » صاحب « المقطم » في مقالٍ له في مجلة « الحديث » الحلبية عام « ١٩٢٩ » مشيرا إلى هذا الحادث : « ... إن الشيخ « محمد عبده » تطوع للقيام بهذه المهمة ـ بقصد إيقاف مقالات الهجوم على « قاسم أمين » ـ ، وتحدث الشيخ « محمد عبده » مع الأميرة « نازلي » في هذا الشأن ، واتفق « محمد عبده » ، و« سعد زغلول » ، و« محمد المويلحي » وغيرهم على أن يتقدم « قاسم أمين » بالاعتذار إلى سمو الأميرة ، فقبلت اعتذاره ، ثم أخذ يتردد على صالونها ، وارتفع مقامها لديه ، وإذا به يضع كتابه الأول عن المرأة ، الذي كان الأثر فيه للأميرة « نازلي » ، بعد أن كان من أكثر الناس دعوة إلى الحجاب ، وسمَّاه : « تحرير المرأة » .

* وقد تناول « قاسم أمين » في هذا الكتاب أربع مسائل ، هي :

- الحجاب .
- واشتغال المرأة بالشؤون العامة .
- وتعدد الزوجات .
- والطلاق .

وذهب في كل مسألة من هذه المسائل إلى ما يتواءم ويتلاءم مع الحضارة الغربية وفلسفتها ، زاعمًا أن ذلك هو ما يعنيه الإسلام(١) .

ويهمنا في هذا المقام استعراض ما تناوله بشأن الحجاب ، فقد اعتبره أصلا من أصول الأدب يلزم التمسك به ، ولكنه يطالب بأن يكون منطبقًا على الشريعة الإسلامية . « ص /٥٥ » .

* ثم يقول : إن الشريعة ليس فيها نص يوجب الحجاب على الطريقة المعهودة ، وإنما هي في زعمه عادة عرضت لهم من مخالطة بعض الأمم ، فاستحسنوها وأخذوا بها ، وألبسوها لباس الدين ، والدينُ منها براء . « ص/ ٥٩ » .

* ويورد قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ الآية [النور : ٣٠] .

* ثم يقول : إن الآية قد أباحت أن تظهر بعض أعضاء من جسم المرأة أمام الأجنبي عنها (٢). غير أنها لم تُسَمِّ تلك المواضع . وقد قال العلماء إنها وكلت فهمها وتعيينها إلى ما كان معروفًا في العادة وقت الخطاب .

---

(١) انظر : الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية ص / ٢٤٥ ـ ٢٥٠ .

(٢) آية : ﴿ يدنين عليهن من جلابيبهن ﴾ واضحة الدلالة في إطالة الثياب حتى تستر الوجه والأطراف . وقوله تعالى : ﴿ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾ واضح في ستر شعر الرأس ، وستر الرقبة ، وفتحة الثوب في الصدر . . فأي شيء قد بقي من أعضاء الجسم حتى يقال : إن الآيات أباحت أن تظهر بعض أعضاء من جسم المرأة ؟!!

أما قوله تعالى : ﴿ إلا ما ظهر منها ﴾ فواضح أن المقصود به هو استثناء ما لا سبيل إلى ستره ، أو ما تقتضي الضرورة إظهاره ، (أي في حالات خاصة : كشاهد يشهد عليها ، وقاض يحكم بشأنها ، وخاطب ينظر إليها) وهو لا يمكن أن يتجاوز اليدين والوجه على كل حال .

واتفق الأئمة على أن الوجه والكفين مما شمله الاستثناء في الآية [١] ووقع الخلاف بينهم في أعضاء أُخَر كالذراعين والقدمين

* ويمضي « قاسم أمين » في التدليل على فساد الحجاب ، فيقول : إن للمرأة حق التعاقد شرعا ، فكيف يتعاقد معها الرجل دون أن يتحقق من شخصها ؟

* ويقول : إن الشرع قد أباح للخاطب أن ينظر إلى المرأة التي يريد أن يتزوجها ، ولكنا ضيَّقنا على أنفسنا فيما وسع اللّٰه .

* ويردُّ على الذين يتذرعون بخوف الفتنة فيقول : إن خوف الفتنة يتعلق بقلوب الخائفين من الرجال ، وليس على النساء تقديره ، ولا هنَّ مطالبات به .

* ثم يتساءل متهكما : ولماذا لا يؤمر الرجال بالتبرقع خوفا على النساء من الفتنة ؟ ..

هل المرأة أقوى عزيمة من الرجل ، وأقدر على ضبط النفس ؟ [٢].

* ثم ينتقل « قاسم أمين » إلى الكلام عن الحجاب بمعنى قصر المرأة في بيتها ، وحظر مخالطتها للرجال ، فيقول : إن الحجاب بهذا المعنى هو

---

(١) هكذا زعم ، بل هي مسألة مختلف فيها ، والراجح وجوب سترهما ، بل نقل بعض أهل العلم الاتفاق على وجوب ستر الوجه لفساد الزمن ، كما سبق في كتابنا هذا ص (٢٣١ - ٢٣٤) .

(٢) ردّ « محمد طلعت حرب » على ذلك في كتابه : « تربية المرأة والحجاب » ص / ٨٣ بأن وظيفة الرجل هي خارج المنزل . أما وظيفة المرأة فهي داخله ، فتكليفها بالتبرقع أقل ضررًا مِنْ تكليفِ مَن الأصلُ في خلقته - بمقتضىٰ الحكمة الإلٰهية - وجوده خارج بيته . هذا إلى أن الرجل والمرأة كليهما مكلفان بغض البصر ، ولكن المرأة مكلفة - بالإضافة إلى ذلك - بعدم إبداء الزينة والمحاسن ، وسترها .

تشريع خاص بنساء النبي ، ويستشهد على ذلك بالآيتين :

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَٱسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٣] .

و﴿ يَا نِسَاءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَاءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب : ٣٢ ، ٣٣] . أما نساء المسلمين عامة فهن ـ في زعمه ـ منهيات عن الخلوة بالأجنبي فقط .

○ ذلك عرضٌ موجز لما جاء في شأن الحجاب في كتاب « تحرير المرأة » لـ « قاسم أمين » . يتضح منه منهج المؤلف في التوفيق بين الإسلام وبين مذاهب الغربيين ، وهو يعرض من خلال كلامه لبيان المضار الناشئة عن الجهل والحجاب . فالمرأة التي تبيع جسدها ليست مدفوعة بالشهوة ، ولكن الذي يدفعها إلى ذلك هو الجهل والعجز عن كسب قوتها من طريق شريف والنقص الذي نشاهده في أخلاقنا ، وما أصابنا من فتور وقلة اكتراث ، وما ابتلينا به من بلادة في الإحساس ، وفي تذوق الجمال ، كل ذلك إنما هو ناشئ من نقص تربيتنا الأولى التي تقوم عليها الأم ، والتعليم وحده لا يكفي في نظر « قاسم أمين » لتكوين المرأة تكوينًا سليمًا يجعل منها أداة صالحة للقيام على الأولاد وعلى تكوين الرجال ، فلا قيمة للقراءة إذا لم تؤيدها

التجربة والمشاهدة .

ولذلك فهو ينادي برفع الحجاب ، لأن حجاب المرأة في منزلها يحبسها في هذا العالم الضيق ، ويحول بينها وبين العالم الحي ، عالم الفكر والحركة والعمل ، ويجعلها لا ترى ولا تسمع ولا تعرف إلا ما يقع في عالمها الضيق من سفاسف الأمور .

○ ولا يخلو الكتاب من تهكُّمٍ بما يسميه : « جمود رجال الدين » « ص / ١٥٣ » .

من هذا العرض يبدو واضحًا أن الكتاب ليس كتاب فقه ، وأن صاحبه ليس فقيهًا يعرض لشرح النصوص الإسلامية شرحًا نزيهًا ليستنبط منها ، ولكنه كتاب مُوَجَّهٌ لخدمة فكرة معينة يحاول المؤلف أن يُسَخِّرَ النصوص لخدمتها . لذلك جاء كتابه مملوءا بالمغالطات ، سواء كان ذلك في تفسير الآيات القرآنية ، أو في النصوص التاريخية والفقهية ، أو الأدلة العقلية . وهذا الاتجاه الذي يفسر النصوص تفسيرًا جديدًا مخالفًا لكل ما هو ثابت متواتر في تفسيرها هو جزء من اتجاه عام تزعمه الشيخ « محمد عبده » متذرعًا إليه بالدعوة إلى فتح باب الاجتهاد ، الذي زعم أن الفقهاء قد أغلقوا بابه . وهو يدعو إلى الملاءمة بين الإسلام وبين الحضارة الغربية .

○ وقد أثار كتاب « تحرير المرأة » موجة من المعارضة كان أكثرها مقالات صحفية ، وليس فيها من الكتب إلا كتاب « تربية المرأة والحجاب » لـ « محمد طلعت حرب » ، الذي اقترن اسمه من بعد بشؤون الاقتصاد والمال[١].

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ١ / ٢٧٣ ـ ٢٨٢ ، بتصرف واختصار .

○ وقد أحسَّ « مصطفى كامل » « ١٨٧٤ ـ ١٩٠٨ » م بخطر هذه الدعوة الآثمة ، وما تحمله في طيَّاتها من تَحَدٍّ لمشاعر المسلمين ، خاصة وأن وراءها أيدٍ بريطانية تحرك أصحابها للجهر بهذه الآراء ، فسارع إلى مقاومتها ، وعقد اجتماعا في « ٥ شعبان ١٣١٧ هـ الموافق ١٨ سبتمبر / أيلول ١٨٩٩ » م عقب صدور كتاب : « تحرير المرأة » قال فيه : « إني لست ممن يرون أن تربية البنات يجب أن تكون على المبادئ الأوربية ، فإن في ذلك خطرًا كبيرًا على مستقبل الأمة . فنحن مصريون ، ويجب أن نبقى كذلك ، ولكل أمة مدنية خاصة بها . فلا يليق بنا أن نكون قردة مقلدين للأجانب تقليدا أعمى بل يجب أن نحافظ على الحسن من أخلاقنا ، ولا نأخذ عن الغرب إلا فضائله ، فالحجاب في الشرق عصمة وأيّ عصمة ، فحافظوا عليه في نسائكم وبناتكم ، وعلموهن التعليم الصحيح . وإن أساس التربية التي بدونه تكون ضعيفة ركيكة غير نافعة .. هو تعليم الدين »[١] . اهـ

ولم يكتفِ « مصطفى كامل » بهذا ، بل جعل صحيفة « اللواء » التي أصدرها عام « ١٩٠٠ » م ميدانًا لكل من يطعن على « قاسم أمين » ، أو يردُّ على أفكاره .

○○○○

---

(١) الحركات النسائية في الشرق وصلتها بالاستعمار والصهيونية العالمية ص / ١٦ ـ ١٧ .

المطلب الثالث

كتاب « المرأة الجديدة »

لم يلبث مؤلف « تحرير المرأة » حين واجه المعارضة الشديدة ، وأحرجته تلك الردود الكثيرة ، أن كشف عن أهدافه الحقيقية في كتاب ظهر في العام التالي ، وهو : « المرأة الجديدة » الذي بدا فيه أثر الحضارة الغربية واضحًا . فالتزم فيه مناهج البحث الأوربية التي ترفض كل المسلّمات ، سواء منها ما جاء من طريق الدين ، وما جاء من غير طريقه ، ولا تقبل إلا ما يقوم عليه دليل من التجربة أو الواقع على حسب ما يفعله باحثوا الاجتماع الأوربيون ، وهو ما يسمونه : « الأسلوب العلمي » .

وقد طلب « قاسم أمين » إلى المصريين أن يتخلصوا مما وقر في نفوسهم من أن عاداتهم هي أحسن العادات ، وأن ما سواها لا يستحق الالتفات ..

وزعم أن نظام الحياة عندنا يبعث في المرأة شدة الميل إلى الشهوات ؛ لأنَّ سجنها والتضييق عليها في وسائل الرياضة يعرضها دائما لضعف الأعصاب ومتى ضعفت الأعصاب اختل التوازن في القوى الأدبية .

* ثم يقول : إن زيادة الحجْرِ على البنت كلما تقدمت في السن ، والتشدد في نهيها عن مخالطة الرجل ، يلفت ذهنها في سن مبكرة إلى ما بين الجنسين من اختلاف .

وقد اتّسم كتاب : « المرأة الجديدة » ـ إلى جانب طابعه الغربي الذي يعتمد على آراء مفكري الغرب ـ بمهاجمة علماء الدين الذين هاجموه من قبل هجومًا عنيفًا ، واتهموه بالتفرنج ، وبإفساد تقاليد الإسلام عندما نشر

كتابه الأول : « تحرير المرأة » .

* وقد جرَّته مهاجمة علماء الدين إلى القسوة في الحكم على الحضارة الإسلامية في بعض الأحيان . فقد كان معارضوا « قاسم أمين » يرون أن نهضتنا يجب أن تعتمد على تراثنا القديم ، وعلى حضارتنا الإسلامية وحدها ، فردَّ على ذلك بكلام هزيل ممجوج . وانتهى به الأمر إلى أن التمدن الإسلامي قد بدأ وانتهى قبل أن يكشف الغطاء عن أصول العلم ، فكيف يمكن أن نعتقد أن هذا التمدن كان نموذج الكمال البشري ؟

* ثم بَيَّنَ أنَّ كثيرًا من ظواهر التمدن الإسلامي لا يمكن أن تدخل في نظام معيشتنا الاجتماعية الحالية ، ويضرب الأمثلة من نظم هذا التمدن في الحكم .

وهي في رأيه أقل من المستوى الذي بلغه اليونان والرومان في كفالة الحريات[1] .

كما يضرب أمثلة من نظام الأسرة ليُبين أنه كان غاية في الانحلال ، وأن الفرق واسع بينه وبين النظم والقوانين التي وضعها الأوربيون لتأكيد روابط الأسرة ، ويختم ذلك متسائلا : إذا كانت هذه حالهم ، فما الذي يطلب منا أن نستعيره منها ؟ ... وأي شئ منها يصلح لتحسين حالنا اليوم ؟

* ثم يقول : متى تقرر أن المدنية الإسلامية هي غير ما هو راسخ في مخيلة الكتاب الذين وصفوها بما يحبون أن تكون عليه ، لا بما

(١) هذه المقارنة بين الحضارة الإسلامية وبين الحضارة اليونانية والرومانية ، وترجيح كفة الأخيرة تبين أن المعين الذي كان يستمد منه « قاسم أمين » وأضرابه هو كتابات المتحررين في أوربا الذين كانوا يحقرون الحضارة المسيحية ، ويمجدون الحضارة اليونانية واللاتينية في جاهليتهما الوثنية السابقة على المسيحية .

كانت في الحقيقة عليه . وثبت أنها كانت ناقصة من وجوه كثيرة ، فَسِيَّان عندنا بعد ذلك أن احتجاب المرأة كان من أصولها أو لم يكن . وسواء صح أن النساء في أزمان خلافة بغداد والأندلس كُنَّ يحضرن مجالس الرجال أو لم يصح فقد صحَّ أن الحجاب هو عادة لا يليق استعمالها في عصرنا . « ص / ١٨٣ » .

* ويدعو « قاسم أمين » دعوة صريحة إلى الأخذ بأساليب الحضارة الغربية فيقول ـ بعد أن يبين أن إعجابنا الشديد بالماضي هو نتيجة لشعورنا بالضعف والعجز ـ : « هذا هو الداء الذي يلزم أن نبادر إلى علاجه ، وليس له دواء إلا أننا نربي أولادنا على أن يتعرفوا شؤون المدنية الغربية ، ويقفوا على أصولها وفروعها وآثارها . إذا أتى ذلك الحين ـ ونرجو أن لا يكون بعيدًا ـ انجلت الحقيقة أمام أعيننا ساطعة سطوع الشمس وعرفنا قيمة التمدن الغربي وتَيَقَّنَّا أنه من المستحيل أن يتم إصلاح ما في أحوالنا إذا لم يكن مؤسسا على العلوم العصرية الحديثة . وأنَّ أحوال الإنسان مهما اختلفت ، وسواء كانت مادية أو أدبية خاضعة لسلطان العلم . لهذا نرى أن الأمم المتمدنة على اختلافها في الجنس واللغة والوطن والدين متشابهة تشابها عظيما في شكل حكومتها ، وإدارتها ، ومحاكمها ، ونظام عائلتها ، وطرق تربيتها ، ولغاتها وكتابتها ، ومبانيها ، وطرقها ؛ بل في كثير من العادات البسيطة كالملبس والتحية والأكل . هذا هو الذي جعلنا نضرب الأمثال بالأوربيين ، ونشيد بتقليدهم ، وَحَمَلنا على أن نستلفت الأنظار إلى المرأة الأوربية » . « ص/ ١٨٥ ـ ١٨٦ »[1] .

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ١ / ٢٨٢ ـ ٢٩٠ بتصرف واختصار .

* وقد أشاد بالمرأة الغربية فقال : « وأخذت في تثقيف عقلها ، ونالت حقوقها واحدًا بعد الآخر ، واشتركت مع الرجل في شؤون الحياة البشرية ، وساحت في البلاد ... هذا التحويل هو كل ما نقصد . وغايةُ ما نسعى إليه هو أن تصل المرأة المصرية إلى هذا المقام الرفيع ، وأن تخطو هذه الخطوة على سُلَّم الكمال وأن تكون مثلها تحررا وإرادة . فالبنات في سن العشرين يتركن عائلاتهن ويسافرن من أمريكا إلى أبعد مكان في الأرض وحدهن ، ويقضين الشهور والأعوام متغيبات في السياحة ، متنقلات من بلد إلى أخرى ، ولم يخطر على بال أحد من أقاربهن أنَّ وَحْدَتهنَّ تُعَرِّضُهُنَّ إلى خَطرٍ ما .

وكان من تحررها أن يكون لها أصحاب غير أصحاب الزوج ... والرجل يرى أن زوجته لها أن تميل إلى ما يوافق ذوقها وعقلها وإحساسها ، وأن تعيش بالطريقة التي تراها مستحسنة في نظرها »[1].

وراح ينتقد من مجتمعاتنا الإسلامية ما يزعم أنه : « حق ملكية الرجال للنساء » ويرى أن تترك حرية النساء للنساء حتى ولو أدَّى ذلك إلى « إلغاء نظام الزواج ، حتى تكون العلاقات بين الرجل والمرأة حرة ، لا تخضع لنظام ولا يحددها قانون »[2].

* وزعم أن آداب المسلمين في كل العصور « لا تخلو من الآداب الفاسدة ، والأخلاق الرذيلة ، والطبائع الدنيئة ، كما رأينا الدولة الإسلامية من بعد وفاة النبي ، إلى آخر أيامها ممزقة بالمنازعات الداخلية الناشئة عن

---

(١) المرأة الجديدة ص / ٦٨ .

(٢) المرأة الجديدة ص / ٢٠٩ .

التباغض والحقد »[١] .

وبناء على ذلك فإنه لا يستغرب خطأ المدنية الإسلامية ـ على حد زعمه ـ في فهم طبيعة المرأة وتقدير شأنها ، وأن خطأها في ذلك ليس أكبر من خطئها في كثير من الأمور الأخرى ، وهذا ما يجعل التمسك بالماضي الإسلامي إلى هذا الحد ، هو من الأهواء التي يجب أن ننهض جميعًا لمحاربتها ، لأنه مَيلٌ يجرنا إلى التدني والتقهقر[٢] .

وفيما عدا الأجزاء الإسلامية التي كتبها الأستاذ « محمد عبده » مستترا تحت اسم « قاسم أمين » لا نجد في بقية أقسام الكتابين سوى حشو ممل يضيق به الصدر ، ويملؤه بالغيظ لكثرة ما تحدث عن عظمة الأوربيين والأمريكان ، وعن أسباب تقدم الأنجلو ساكسون : كيف أن نشاطهم وجراءتهم وإقدامهم وتبصرهم وفطنتهم ، وجميع الصفات التي تعترف كل الأمم بامتيازهم فيها عن سواهم هي نتيجة لعب الكرة ، والسباحة ، وركوب الخيل .

* ومع هذا الحشو يشغلنا معه بنقده الجوانب التافهة من أخطاء المرأة المصرية والتي لا يجيد حتى حصرها ، فيتناقض : إذ يأخذ عليها تارة كونها لا تجيد سوى التزين ومسامرة زوجها ، فيقول : « وما لم يبق للعقل ولا للأعمال النافعة قيمة لديها ، وإنما بضاعتها أن تسلي الرجل وتمتعه ... وجهت جميع قواها إلى التفنن في طرق استمالته إليها ، والاستيلاء على أهوائه وخواطر نفسه ...

(١) المرأة الجديدة ص / ١٨١ .

(٢) المرأة الجديدة ص / ١٨٤ .

* ثم يناقض قوله هذا بعد ست صفحات ، ويتهم المرأة المصرية بأنها جاهلة حتى بأمر زينتها ومسامرة زوجها ، فنراه يقول : « ذلك أن المرأة الجاهلة تجهل حركات النفس الباطنة ، وتغيب عنها معرفة أسباب الميل والنفور ، فإذا أرادت أن تستميل الرجل جاءت في الغالب بعكس ذلك »[1]

إن المتتبع لكتابات قاسم أمين يخلص إلى أن صاحبها يريد ثورة على المجتمع كله ؛ ثورة تغير شكله وحقيقته ، لا في شؤون المرأة فحسب ، بل في معظم أوجه الحياة : « حكومتها ، وإدارتها ، ومحاكمها ، ونظام عائلتها وطرق تربيتها ، ومبانيها وطرقها ، بل في كثير من العادات البسيطة : كالملبس ، والتحية ، والأكل ، وكذا في العلوم والصنايع ، وأحوال المرأة ، لأن تخلفها سبب في انحطاط الشرق ، وتقدمها في الغرب هو سِرّ تقدمه . هكذا زعم ، ولا تعجب فهذا شأن كل مستغرب تنكّر لماضيه ، واستثقل النهوض بأمته : بالدين والقيم والعلم جنبًا إلى جنب !!!

كما لا تعجب إذا قلنا لك : إن « قاسم أمين » واحد من مدرسة التغريب التي كانت تعمل على سلخ المجتمع الإسلامي عن هويته ..

○ ولئن وجد قاسم أمين من رموز هذه المدرسة كالشيخ « محمد عبده » سندًا وعونًا في إبراز كتاب « تحرير المرأة » وصياغة بعض فصوله ، فإننا نؤكد هنا أن « سعد زغلول » الرمز الآخر من رموز التغريب كانت له مشاركة أخطر في الأفكار الخطيرة التي أودعها « قاسم أمين » في كتابه : « المرأة الجديدة » التي خرج بها عن ضوابط الإسلام وقيمه

---

(١) انظر : « في مسألة السفور والحجاب » ص / ٤٢ ـ ٤٣ .

وأخلاقه ، مما كان له أسوأ الأثر على سلوك المرأة المسلمة خصوصا ، والمجتمع الإسلامي على وجه العموم .

○ وقد انبرى العلماء والكُتَّاب للرد على كتاب « المرأة الجديدة » ، وكان من هؤلاء « مصطفى كامل » الذي قال في « جريدة اللواء » عن هذا الكتاب : « أخرجه أخيرا قاسم أمين ليدعم به أمر كتابه الأول ، ويفتح به آفاقا جديدة لتحلل المسلمين من دينهم وأخلاقهم »[١] .

وعلى عادته ، فقد جعل « مصطفى كامل » من « جريدة اللواء » منبرًا حرًّا لعلماء المسلمين ، ودعاتهم المخلصين ، يردون من خلالها على « قاسم أمين » ويفندون دعوته الاستعمارية . وكان من تلك الردود الجريئة التي نشرتها تلك الجريدة ذاك الذي كتبه قاضي مصر « السيد عبد اللَّه جمال الدين أفندي » رحمه اللَّه تعالى في عددين متتاليين[٢]. وقد طبع هذا الرد مؤخرا عام « ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ » م في رسالة بعنوان : « **حجاب المرأة : العفة والأمانة والحياء** » .

○ ○ ○ ○

---

(١) جريدة اللواء ، تاريخ ٩ / ٢ / ١٩٠١ م .

(٢) جريدة اللواء ، تاريخ ٢٥ و ٢٦ ذو الحجة ١٣١٨ هـ الموافق أواخر عام ١٩٠٠ م .

المطلب الرابع

دور الشيخ « محمد عبده » في كتاب : « تحرير المرأة »

إن المتتبع لكتاب : « تحرير المرأة » يجد أنه تعرض لقضايا إسلامية هامة لا يُحسن الكتابة فيها إلا من كان له غوص في العلوم الإسلامية ، ليعطي كتاباته صفة الإقناع العلمي ، والتأصيل الفقهي .

و« قاسم أمين » لا يملك هذه المؤهلات ، مما يجعل الباحث يتوقف لمعرفة تلك البحوث التي جاءت في كتابه ، هل هي من صياغته ، أم صياغة رجل آخر متضلع في الفقه الإسلامي وعلومه ؟

وقد كان للشيخ « محمد عبده » دَوْرانِ في هذه القضية :

□ الدور الأول :

حض « قاسم أمين » على القيام بتأليف هذا الكتاب ليكون اعتذارًا عما بدر منه من الرد على مطاعن « دوق داركير » ، ورفعه من شأن الحجاب ، والتنديد بالداعيات إلى السفور ، مما اعتبر تعريضا جارحا بالأميرة « نازلي » التي كان لها صالون تجلس فيه مع علية القوم من الرجال .

وقد أشار إلى هذا الحدث « فارس نمر » ، حيث كتب مقالا في مجلة « الحديث » الحلبية عام ١٩٣٩ ، فقال : « إنه ظهر كتاب للدوق داركير ، يطعن فيه على المصريين طعنا مرا ، ويخص النساء بأكبر قسط منه ... إذ رماهنَّ بالجهل ، وضعف مكانتهن في المجتمع ، فاهتاج الشباب ، وتطوع « قاسم أمين » للرد على كتابه .. » .

ويستطرد « فارس نمر » : « وهنا أشير لحقيقة لا يكاد يعلمها إلا ندرة في

مصر .. هذه الحقيقة أن كتاب « قاسم أمين » الذي رد فيه على « دوق داركير » لم يكن في صف النهضة النسائية التي كانت تمثلها الأميرة « نازلي » ، بل كان الكتاب يتناول الرد على مطاعن المؤلف الفرنسي ، ويرفع من شأن الحجاب ، ويعده دليلا على كمال المرأة ، ويندد بالداعيات إلى السفور واشتراك المرأة في الأعمال العامة . وكان « قاسم أمين » إذ ذاك أحد قضاة محكمة الاستئناف .

ولما ظهر كتابُهُ ساء ما به إخوانَه الآخرين ، أمثال : « محمد المويلحي » و« محمد بيرم » و« سعد زغلول » ، ورأوا فيه تعريضا جارحا بالأميرة « نازلي » ، وتشاوروا فيما بينهم في الرد عليه ، واتفقوا أخيرا على أن أتولى الكتابة عن هذا المؤلَّف ، وعرض فصوله ، وانتقاد ما جاء به خاصا بالمرأة . وبدأتُ في كتابة سلسلة مقالات عنه .. ولكن ذلك النقد لم يَرُقْ في نظر قضاة محكمة الاستئناف ، ورأوا فيه مساسا بهيبتهم .. لأن « قاسم » أفندي كان أحدهم ، ورأوا أن أفضل وسيلة يبذلونها لكي أكفَّ عن الكتابة أن مؤلفه يرجو الأميرة « نازلي فاضل » لكي تطلب إليَّ ذلك ... وتطوع الشيخ « محمد عبده » للقيام بهذه المهمة .

وذات مساء حضرت إلى صالون الأميرة كما حضر الشيخ « محمد عبده » و« محمد بيرم » و« المويلحي » .. وبعد قليل تحدث الشيخ « محمد عبده » مع الأميرة في هذا الشأن .. فالتفتت إليَّ سموُّها وقالت لي : إنها لا تجد بأسًا في الكتابة في الموضوع ... وكانت هي لم تقرأ الكتاب ، ولم تعرف أنه يشمل الطعن فيما تدعو إليه .. فلما رأى ذلك « محمد المويلحي » قال لسموها : إنه يدهش من طلب الأميرة ، وخاصة لأن

الكتاب تعرَّض لها .. فبدت الدهشة عليها ، وكانت إحدى نسخ الكتاب موجودة عندها

وعبثا حاولت أن أقفل باب الحديث في هذا الشأن ، وخاصة بعد أن لمحت عليها معالم الاضطراب والجد والعنف .. فلما اطلعت على ما جاء به ثارت ثورة شديدة ، ووجهت القول بعنف إلى الشيخ « محمد عبده » ، لأنه توسط في هذا الموضوع .

ومرَّت الأيام بعد ذلك ، واتفق « محمد عبده » و« سعد زغلول » « والمويلحي » ، وغيرهم على أن يتقدم « قاسم أمين » بالاعتذار إلى سمو الأميرة .. فقبلت اعتذاره ، ثم أخذ يتردد على صالونها .. وكلما مرت الأيام ازدادت في عينه ، وارتفع مقامها لديه .. وإذا به يضع كتابه الأول عن المرأة الذي كان الفضل فيه للأميرة « نازلي » ، والذي أقام الدنيا وأقعدها بعد أن كان أكثر الناس دعوة إلى الحجاب »[١] .

□ **الدور الثاني** : أما الدور الثاني للشيخ « محمد عبده » فيتمثل في مشاركته الفعلية في إعداد بعض فصول الكتاب ، وأخص بالذكر المباحث الفقهية منه ، كالحجاب ، وتعدد الزوجات ، والطلاق . يقول « داود بركات » رئيس تحرير الأهرام بجريدته الصادرة في ٤ يناير / كانون الثاني عام ١٩٢٨ م في مقال له يبرز فيه هذا الدور للشيخ الإمام :

« إن قاسم أمين قرأ كتاب الدوق « داركير » : « المصريين » ، وردَّ عليه بكتاب باللغة الفرنسية ، وفَنَّدَ اتهاماته .. فلما ظهر هذا الكتاب وصف بأنه

---

(١) مجلة « الحديث » الحلبية عام ١٩٣٩ م .

لم يكن في صف النهضة النسائية . فقد رفع الكتاب من شأن الحجاب ، وعدَّه دليلًا على كمال المرأة ؛ كما نَدَّد بالداعيات إلى السفور . وقد رأت فيه الأميرة « نازلي فاضل » تعريضًا بها .

ثم استطرد يقول : وكانت الأميرة « نازلي فاضل » ولها صالون يحضره « سعد زغلول » ، و« محمد عبده » ، وجماعة من الطامحين إلى تولي السلطة في مصر تحت قيادة النفوذ البريطاني ، وبرعاية اللورد « كرومر » .

ويقول « داود بركات » متابعا : « وقد أشير على جريدة المقطم » ـ وهي لسان حال الإنجليز في مصر ذلك الوقت ـ أن تكتب ست مقالات عن الكتاب ، تفند أخطاء « قاسم » في هذا الاتجاه ، ودفاعه عن الحجاب ، واستنكاره اختلاط الجنسين .. ثم أوقفت الحملة بعد اتفاق الشيخ « محمد عبده » و« سعد زغلول » مع « قاسم أمين » على تصحيح رأيه .

وقد حمل الشيخ « محمد عبده » الدعوة إلى تحرير المرأة في دروسه في الرواق العباسي بالأزهر حين أعلن أن الرجل والمرأة متساويان عند اللّه ...

وقد ترددت آراء كثيرة بأن الشيخ « محمد عبده » كتب بعض فصول الكتاب أو كان له دور في مراجعتها .

ومما أورده « لطفي السيد » أنه اجتمع في جنيف عام « ١٨٩٧ » بالشيخ « محمد عبده » و« قاسم أمين » و« سعد زغلول » وأن « قاسم أمين » أخذ يتلو فقرات من كتاب « تحرير المرأة » وصفت بأنها تنم عن أسلوب الشيخ « محمد عبده » نفسه »[١]. اهـ

---

(١) عن كتاب : « حركة تحرير المرأة في ميزان الإسلام ص / ٢٨ ـ ٢٩ ، ورجال اختلف فيهم الرأي ص / ٢٥ ـ ٢٦ .

وتساءل الدكتور « محمد عمارة » عن العلاقة بين الشيخ « محمد عبده » وهذا الكتاب ، هل هو مؤلفه أم « قاسم أمين » ؟ أو أن الكتاب قد جاء ثمرة عمل مشترك منهما معًا ؟؟

وماذا يقول التحقيق العلمي للنصوص في هذا الموضوع المهم ؟! فقال ما يلي تحت عنوان : « **علاقة محمد عبده بالكتاب** »

والرأي الذي أومن به ، والذي نبع من الدراسة لهذه القضية ، هو أن هذا الكتاب إنما جاء ثمرة لعمل مشترك بين كلٍ من الشيخ « محمد عبده » و« قاسم أمين » .. وإن في هذا الكتاب عدة فصول قد كتبها الأستاذ الإمام وحده ، وعدة فصول أخرى كتبها « قاسم أمين » .

ولدينا على هذا الرأي مجموعة كبيرة من الأدلة .. يحسن أن نقدم بين يديها عددًا من القرائن نجملها في هذه النقاط :

إن نشر الكتب والمقالات والأبحاث بأسماء الغير ، أو بالأسماء المستعارة كان أمرًا كثير الشيوع في ذلك التاريخ ، « فجمال الدين الأفغاني » قد كان ينشر أفكاره تقريبا بأسماء تلاميذه ، والشيخ « محمد عبده » كتب الكثير من المقالات بتوقيع « مؤرخ » و« عالم فاضل » .. إلخ .. و« عبد الرحمن الكواكبي » نشر فصول كتابه : « طبائع الاستبداد » في « المؤيد » بدون توقيع ، ثم طبعها في كتاب ، ووضع عليه كلمة : « الرحالة : ك » !! .

إن مبدأ اشتراك أكثر من مفكر في إنجاز عمل فكري واحد كان معروفا ومألوفا ومطروقا ، بل إن هناك ما يثبت أن « قاسم أمين » قد بذل محاولات للاستعانة بـ « أحمد شفيق باشا » في كتابة هذا الكتاب ، فالأخير يكتب قائلا : « .. واختمرت فكرة تحرير المرأة وتعليمها في بعض الرؤوس ،

وهم : « قاسم أمين بك » بإخراج كتابه في هذا الصدد ، وعرض عليَّ أن أشاطره العمل ، فمنعني من تلبية طلبه سببان :

أولًا : عملي الحكومي الذي لا يسمح لي بالتفرغ لمسألة أعلم أن تأليف كتاب فيها لا ينتج الثمرة المرجوة .

ثانيا : يقيني بأن الأفكار لم تتهيأ بعد لقبول مثل هذه الدعوة [1].

وفي الكتاب الذي وضعته الدكتورة « درية شفيق » ـ بنت أحمد شفيق باشا ـ بالاشتراك مع الدكتور « إبراهيم عبده » عن « تطور النهضة النسائية في مصر » نقرأ صراحة أن الذي شارك « قاسم أمين » في هذا العمل هو « الأستاذ الإمام » . فقد جاء فيه : « أما الأمور التي عالجها الشيخ « محمد عبده » من الناحية الدينية ، فيما يختص بحقوق المرأة ، فقد تناولها « قاسم أمين » بالبحث من الناحية الاجتماعية ، وقد وجدت آراء « قاسم أمين » تأييدا تاما عند الشيخ « محمد عبده » . وحدث في سنة « ١٨٩٧ م » أن اجتمع « الأستاذ الإمام » و« سعد باشا زغلول » ، و« لطفي السيد » ، و« قاسم أمين » في جنيف ، وأخذ الأخير يتلو على الإمام بعض فصول من كتابه عن تحرير المرأة فكان يوافق على ما فيها . وقيل : إن بعض فقرات هذا الكتاب تنمُّ عن أسلوب الشيخ « محمد عبده » نفسه » .

وهذا « التقسيم للعمل » الذي تشير إليه « د . درية شفيق » بين « محمد عبده » و« قاسم أمين » ، حيث تناول الأول القضية من الناحية الدينية ، بينما اختص الثاني بالناحية الاجتماعية .. هذا الأمر على جانب كبير من

---

(١) أحمد شفيق باشا « أعمالي بعد مذكراتي » ص / ٣٥٢ . طبعة القاهرة سنة ١٩٤١ م .

الأهمية ، فعلاوة على كونه الأمر الطبيعي المتفق مع ثقافة كل منهما وتخصصه ، فإننا نجد الكتاب ـ « تحرير المرأة » ـ يحدد لنفسه هدفين عندما يقول : « .. تبين للقارئ مما سبق أن ما يريد إدخاله من الإصلاح في حالة النساء ينقسم إلى قسمين :

قسم : يختص بالعادات ، وطرق المعاملة والتربية ..

والقسم الثاني : يتعلق بدعوة أهل النظر في الشريعة الإسلامية والعارفين بأحكامها إلى مراعاة حاجات الأمة الإسلامية وضرورتها فيما يختص بالنساء » .

والدارس للكتاب في ضوء هذه المؤشرات يرى أن الفصول التي كتبت فيه عن « الحجاب الشرعي » و « الزواج » و « تعدد الزوجات » و « الطلاق » هي بحوث فقهية لا يمكن أن يكتبها إلا إمام مجتهد في الإسلام ، وليس في ذلك العصر من كان يستطيع ذلك سوى الأستاذ الإمام بينما بقية فصول الكتاب هي أقرب إلى ثقافة قاسم أمين الاجتماعية ، وأسلوبه في تناول القضايا والأمور .. وسيأتي تفصيل هذه القضية الهامة بعد قليل .

ومن القرائن الدالة على أن الأبحاث التي تناولت هذه القضية ، من الناحية الدينية في الكتاب هي من إنشاء الأستاذ الإمام ، ما نجده من التطابق في الأفكار بين ما جاء في « تحرير المرأة » وما كتبه « الشيخ محمد عبده » في « الوقائع المصرية » قديمًا ، وقبل الثورة العرابية ، وبالذات في شهر مارس / آذار سنة « ١٨٨١ » م .. ففي العدد « ١٠٥٥ » من « الوقائع » الصادر في ٧ مارس / آذار سنة « ١٨٨١ » م نجد له مقالًا عنوانه : « حاجة الإنسان إلى الزواج » يتحدث فيه عن « أن سعادة الإنسان في معيشته ، بل صيانة وجوده في هذه الدار موقوفة على تقييد تلك الشهوة « الجنسية » بقانون

يضبط استعمالها ، ويضرب لها حدودًا يقف كل شخص عندها ، وتوجب الاختصاص بين الزوج والزوجة » .

وفي العدد التالي لذلك مباشرة يتحدث تحت عنوان : « حكم الشريعة في تعدد الزوجات » .. يتحدث عن وجوب العدل بين الزوجات عند التعدد والزواج بأكثر من واحدة ، « وإلا فلا يجوز الاقتران بغير واحدة » .. كما يتحدث عن أن الواقع المشاهد يقطع بعجز الإنسان عن تحقيق العدل المطلوب ، ويصل إلى المعاني التي نراها شديدة التحديد ، كثيرة الورود في الفصول التي كتبت في « تحرير المرأة » حول هذا الموضوع .. والذين يقرؤون هذه المقالات ، ثم يقارنون بينها وبين مثيلاتها في صفحات الكتاب يعلمون قدر هذه « القرينة » في الدلالة على دور الأستاذ الإمام في إنشاء بعض فصول هذا الكتاب .

وقرينة أخرى تتمثل في رأي الأستاذ الإمام في اشتغال الأميرة « نازلي هانم فاضل » بأمور السياسة ، فهو يرى ذلك من عيوبها وأخطائها .. فيقول في حديث مع الشيخ « رشيد رضا » في سنة « ١٨٩٧ » م : إن « هذه الأميرة قادرة على تأسيس عمل يفيد البنات ، فإن مَنْ حولها من الأميرات ينفقن نفقات كبيرة إسرافًا وتبذيرًا ، ولو أنها حملتهن وأمثالهن من النساء الغنيات على إنشاء مدرسة لتربية البنات وتعليمهن ، واستحضرت لهن معلمات من الأستانة أو سورية لكان خير عمل تعمله ، وما كنَّ ليخالفنها ، فإذا لم يأتِ بالفائدة المطلوبة كان غرسًا أو بذرًا تجني ثمرته ولَوْ بعد حين » [1] .

---

(١) د . إبراهيم عبده ، د . درية شفيق « تطور النهضة النسائية في مصر » ص / ٢٥٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ . طبعة القاهرة سنة ١٩٤٥ م .

هذه القضية التي يثيرها الإمام قبل صدور كتاب « تحرير المرأة » بسنوات هي التي نجدها في الكتاب محورًا تعلق عليه الآمال في تنفيذ ما أشار به الكتاب من الإصلاح ، وذلك عندما يتحدث الكتاب عن أنَّ « أحسن طريقة لتنفيذ ما عرضناه في هذا الكتاب هي أن تؤسس جمعية تتولى التعليم والتهذيب والتحرير للنساء المصريات » .

* ومن القرائن الدالة أيضًا في هذا الباب : موقف الأستاذ الإمام من الكتاب بعد صدوره ، فلقد أيده ودافع عنه بطريقة غير مباشرة ، وامتنع عن التعليق عليه أو المشاركة بشكل مباشر في المعارك التي دارت من حوله ، وبالذات عندما أراد خصومه إحراجه ، وطلبوا منه أن يفتي ـ بحكم منصبه الرسمي ـ في الموضوع ..

أما دفاعه ـ غير المباشر ـ عن الكتاب فيتمثل في وقوف الشيخ « رشيد رضا » ، ومجلة « المنار » إلى جانب الكتاب ، فلقد تناولت المنار الكتاب بالمدح والتقريظ أكثر من مرة ، واعتبرته مع « رسالة التوحيد » للأستاذ الإمام و « سر تقدم الإنجليز السكسونيين » الذي ترجمه « فتحي زغلول » « أهم الأعمال الفكرية في ذلك العصر»[1] .

ولقد أراد خصوم الشيخ « محمد عبده » إحراجه يومئذٍ فطلبوا منه أن يصدر فتوى في هذا الموضوع . وعندما صدر كتاب « قاسم أمين » : « المرأة الجديدة » بعد عام من صدور « تحرير المرأة » طبع خصوم الإمام سؤالا موجهًا إليه باسم أحد المواطنين ـ محمد أفندي عبده البابلي ـ يسأل فيه

---

(١) « المنار » عدد أول يوليو / تموز ، وعدد ١٥ يوليو / تموز ، وعدد ٢٦ أغسطس سنة ١٨٩٩ م

« هل رفع الحجاب عن المرأة ، وإطلاقها في سبيل حريتها بالطريقة التي يريدها صاحب كتاب « المرأة الجديدة » يسمح به الشرع أم لا ؟؟ » .

وإمعانًا في الإحراج والاستفزاز طبعوا هذا السؤال ووزعوه على الجمهور في صورة كتاب مفتوح إلى المفتي .. بل وطبعوا « استلفاتًا إلى هذا الكتاب المفتوح » .. ووزعوه كذلك على الجمهور ..

ولكن الأستاذ الإمام ظل ملازمًا للصمت إزاء هذه القضية التي كانت الشغل الشاغل للناس في ذلك الحين ..

وتقدمت « المنار » للدفاع عن هذا الصمت ، وساقت لتبريره عددًا من الأدلة لا أراها إلا قرائن على العلاقة الإيجابية بين الأستاذ الإمام وهذا الكتاب ..

فهي تقول في الاعتذار عن عدم إجابة الأستاذ الإمام على هذا السؤال :

١ ـ إن الاستفتاء جاء على خلاف المعهود ، بأن وزع على الجمهور .

٢ ـ إن الجواب عليه يستلزم قراءة الكتاب ، في حين أن المفتي مثقل بالأعمال !!

٣ ـ إن الفتوى لا يفهمها الناس إلا إذا قرؤوا الكتاب ، وهو ما يؤدي إلى نشر ضرره إذا كان ضارًا !!

٤ ـ إن فتوى الإمام ستكون على المذهب الحنفي الذي عينته الحكومة ليفتي على أساسه ، في حين أن بعض المذاهب قد أباحت كشف المرأة لوجهها ويديها ، وجواز معاملة الرجال في غير خلوة . وهذا كل ما يطلبه « الكتاب » من إبطال الحجاب .

ثم استطردت « المنار » لتقول : « .. كل هذا يدلنا على أن السائل أخطأ

في السؤال . وأنه لا يلقى جوابًا » [١] !!

وإذا كانت هذه القرائن كافية في ترجيح الحكم باشتراك الأستاذ الإمام في تأليف هذا الكتاب ، فإن هناك اعتراضًا من بعض الباحثين على هذا الرأي . يقولون : إن أسلوب الكتاب هو « لقاسم أمين » وليس للأستاذ الإمام ..

ومن الضروري أن نناقش هذا الاعتراض ، قبل تقديم الدليل القاطع على رأينا ، من خلال عملية التحقيق والنقد لنص الكتاب ومقارنته بالكتابات الأخرى المقطوع بنسبتها لـ « قاسم أمين » ..

☆ ☆ ☆ ☆

(١) عدد ٦ فبراير / شباط ، سنة ١٩٠١ م .

مناقشة اعتراض

عندما مات « قاسم أمين » كتب المرحوم « إبراهيم رمزي » ـ صاحب مجلة « المرأة في الإسلام » ـ افتتاحيةَ جريدة « الجريدة » تحت عنوان « مصابنا في الرجال » ، فتناول قضيتنا هذه ، وقال : « ولقد كان الأستاذ الإمام و« قاسم أمين » صديقين حميمين ، حتى مات كل منهما راضيا عن عمل الآخر .

ولذلك قال الناس عند ظهور « تحرير المرأة » : إن للإمام يدًا فيه . ونحن لا نعرف لهذه الدعوى حقيقة ، لأن أسلوب الإنشاء في الكتاب كان من أساليب « قاسم » الخاصة» (١) .

والأمر الذي ننكره نحن هو أن يكون « أسلوب الإنشاء » في الكتاب من أساليب « قاسم أمين » الخاصة به ، لا لأن « قاسم أمين » لم يكن يحسن الكتابة باللغة العربية ـ كما يزعم البعض ـ فلقد كان الرجل أديبًا وكاتبًا اجتماعيًا ممتازًا ، تشهد له بذلك مقالاته في « المؤيد » التي جمعت في كتابه : « أسباب ونتائج وأخلاق ومواعظ » ، وأيضًا كتابه : « كلمات » وكذلك كتابه « المرأة الجديدة » الذي لم تثر من حول نسبته إليه أية شبهات ..

ونحن إذا أمعنا النظر في كتابات « قاسم أمين » وجدناها متحلية بزينة الأسلوب الأدبي ، فيها حلاوته وطلاوته ، وفيها أحيانًا شاعريته .. وهي صفات لا نجدها أبدًا عند الأستاذ الإمام ، الذي نشعر ونحن نقرأ له أن

(١) « الجريدة » في ٢٣ فبراير / شباط سنة ١٩٠٨ م .

العقل هو الذي يلقي إلينا بالجمل والكلمات ، فضلًا عن المعاني والمضامين .. كما نجد في كتابات « قاسم أمين » الخاصة به ، وكذلك في الفصول التي نراها له في « تحرير المرأة » حديثًا ملحوظًا عن المجتمعات الغربية ، وتأثره بها ، والمفكرين الغربيين ، وقراءته لآثارهم ، وإعجابه بنظرياتهم ، وهي أشياء لا نلمحها أبدًا عند الأستاذ الإمام ..

كما أنَّ هناك الكثير من القضايا الفكرية ، التي يربط بها نمط مميز ومتميز من أنماط التعبير ، ـ والتي لا يتسع لها هذا المقام ـ هناك الكثير من هذه القضايا والأساليب نجدها في كتابات « قاسم أمين » مميزة لأسلوبه من أسلوب الإمام « محمد عبده » ، ومميزة كذلك لأسلوبه هذا عن الأسلوب الذي كتبت به الفصول المشار إليها في « تحرير المرأة » .. والذين يقرأون كتابه « كلمات » عن علاقة الشر والخير بالإنسان ، وعن فكرة الخطيئة الأولى للإنسان ، وعن أسباب انحطاط الأمة المصرية ، وعلاقة تأخرها بتأخر الفنون الجميلة والتمثيل والتصوير والموسيقى ... إلخ .. إلخ .. يدركون أنهم بإزاء كاتب متميز في الفكر والأسلوب عن الأستاذ الإمام في كثير من القضايا ، وفي كل أنماط التعبير ..

أضاف « د . محمد عمارة » في الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ٢٥٨/١ : .. ويدركون كذلك معنى قولنا : إن الصياغة النهائية والإجمالية لكتاب : « تحرير المرأة » هي من صنع الأستاذ الإمام ، وأنّ الكثير من فصوله إنما هو من تفكير « قاسم أمين » ..

○○○○

المطلب الخامس

نظرة نقدية من داخل النصوص

والآن .. يمكننا أن نقدم الدليل الذي نراه قاطعًا على أن فصول « الحجاب الشرعي » و « الزواج » و « تعدد الزوجات » و « الطلاق » في كتاب : « تحرير المرأة » إنما هي فكر خالص وصياغة خالصة للأستاذ الإمام .. وذلك من خلال نظرة نقدية ودراسة موضوعية لنصوص هذه الفصول ـ مع مقارنة بينها وبين بعض فصول من كتاب « قاسم أمين » : « المرأة الجديدة » ، وعلى ضوء ما هو معروف للجميع من الخصائص الفكرية والثقافية ، وطبيعة الاهتمامات التي يتميز بها كل من الرجلين عن صاحبه ..

○ ففي « **تحرير المرأة** » ، وبالذات في الفصول التي تتناول وجهة نظر الشريعة والدين في هذه القضية ، نلتقي بمجموعة من الآراء الفقهية والمناقشات لا يستطيع أن يبحثها ولا أن يستخلصها كاتب مثل « قاسم أمين » .. بل وأهم من ذلك نجد أحكامًا كلية تدل على أن صاحبها ومصدرها قد استقصى بحث هذا الأمر في جميع مصادره الرئيسية في الفكر الإسلامي ، على اختلاف مذاهبه وتياراته الفكرية ، وهو الأمر الذي لا نعتقد أنه قد توافر في ذلك العصر سوى لقلة قليلة في مقدمتهم جميعًا الأستاذ الإمام .. ونحن نستطيع أن نضع يدنا على هذه الأمثلة إذا نحن مثلًا رأيناه :

* يصدر حكمًا قاطعًا على المسائل التي ميَّز فيها الشرع الرجال على النساء ، فيقول : « ولم أر إلا مسألة واحدة ميز الشارع فيها الرجال على النساء وهي تعدد الزوجات » وهو حكم لا يصدره إلا من استقصى البحث

في هذا الموضوع .

* كما يقول : « واتفق أئمة المذاهب .. على أنه يجوز للخاطب أن ينظر إلى المرأة التي يريد أن يتزوجها .. » .. وهو حكم لا يتأتى إلا من مفكر اطلع ودرس واستقصى ما كتبه أئمة المذاهب ، كل المذاهب ، في الإسلام .

* كما يتحدث عن « الحجاب » الذي ورد حديث القرآن عنه .. فيقسمه إلى حجاب خاص بنساء النبي ، وآخر لنساء المسلمين ، ويورد نصوص كل قسم ، سواء ما جاء منها في القرآن أو السنة النبوية .. وهو يتناول هذه القضية بمستوى المفكرين المجتهدين وليس فقط بمستوى الدارسين أو الهواة .

* بصدد حديثه عن النصوص التي وردت في الحجاب ، والخاصة بنساء النبي ﷺ ، يصدر مثل هذا الحكم القاطع فيقول : « ولا يوجد اختلاف في جميع كتب الفقه من أي مذهب كانت ، ولا في كتب التفاسير في أن هذه النصوص الشريفة هي خاصة بنساء النبي » ..

فمن يستطيع أن يصدر مثل هذا الحكم القاطع ، بعد هذه الإحاطة الشاملة ؟؟ لا أعتقد أنه « قاسم أمين » .. ولا أظنه إلا الأستاذ الإمام ...

* وكما نطالع مثل هذا القطع في الحكم ، بناء على اتساع الاطلاع وشموله ، فنقرأ قوله : « إن نظر المرأة المخطوبة مباح لخاطبها .. » .

* كما يناقش قضية الطلاق مناقشة مفكر مجتهد ، ويتحدث فيها عن « الأصول » وعن « الفروع » .. ثم يقول : « إن شرعنا الشريف قد وضع أصلًا هامًا يجب أن تُرد إليه جميع الفروع في أحكام الطلاق ، وهو أن الطلاق محظور في نفسه ، مباح للضرورة » .

* ثم يواصل الحديث عن الطلاق ، فنقرأ له حديثًا يدل على مستوى من

العلم والإحاطة بمصادر الفكر الإسلامي لا يتوافر إلا لقلة قليلة ، مثل أن يقول : إن « المطلع على كتب الفقه وإن كان يجد أن جميع الأئمة قد نظروا على العموم إلى أن هذا الأصل الجليل من شأنه العمل على تضييق دائرة الطلاق بما يصل إليه الإمكان ، لكنه لابد أن يلاحظ أيضًا أنهم لم يراعوا في التفريع تطبيق هذا الأصل على طريقة واحدة متساوية ، ويرى أن الفقهاء من أتباع الأئمة قد توسعوا في أمر الطلاق ، ولم تطرد طريقتهم على وتيرة واحدة في تطبيق الأحكام على الوقائع .. » . فهو حكم مفكر أحاط بما قدمه أئمة المذاهب .. وأيضًا بما قدمه الفقهاء من أتباع هؤلاء الأئمة من أحكام ، كما أحاط بالتطبيقات التي أجروها لهذه الأحكام على الوقائع وما نتج عن ذلك من تفريعات .. فأين « قاسم أمين » من مثل هذه الميادين ؟!

* وأخيرًا وهو يتحدث عن الطلاق كذلك ، نجده يقارن بين المذاهب الفقهية ، ويستخدم عبارات ، مثل : و« اتفق أغلب المذاهب ... » إلخ .. مما له دلالة في هذا الميدان .

☆ ☆ ☆ ☆

○ وأمر آخر جدير بالملاحظة في كتاب « **تحرير المرأة** » ، وبالذات في الفصول التي نراها من إنشاء الأستاذ الإمام ، هو كثرة الاقتباسات المأخوذة عن أمهات الكتب في الفقه الإسلامي ، والتي لا نعتقد أن ثقافة « قاسم أمين » الشرعية قد بلغت حد الإحاطة حتى بأسماء مثل هذه المؤلفات وأصحابها ، فضلًا عن الغوص فيها ، والاقتباس عنها ، وتوثيق النصوص المقتبسة بذكر اسم المرجع ، ورقم الجزء ، ورقم الصفحة في صلب نص الكتاب وفي هوامشة كما يصنع كبار المحققين .. ويكفي هنا أن نشير إلى

أسماء بعض الكتب وبعض المؤلفين ليعلم القارئ مَن صاحب هذا الجهد ، ومَن هو فارس هذا الميدان .

* فهو ينقل عن « الإمام الغزالي » .. وعن « حواشي ابن عابدين » ، وعن كتاب « الروض » في المذهب الشافعي .. وعن كتاب « تبيين الحقائق في شرح كنز الدقائق » لعثمان بن علي الزيلعي .. وعن كتاب « حُسْن الأسوة » للسيد محمد صديق حسن خان بهادر .. وعن « تاريخ الرسل والملوك » للطبري .. إلخ .. وفي عشرات النصوص التي يقتبسها من هذه المصادر الأصلية في الفقة والفكر الإسلامي يوثقها بذكر الجزء والصفحة واسم المصدر الذي رجع إليه ، ويضع النصوص بين الأقواس . وإلى جانب ذلك يورد من القصص الإسلامي ، وأخبار النساء في صدر الإسلام ما يدعم وجهة النظر التي يقدمها ..

* فإذا ما انتقلنا إلى كتاب « المرأة الجديدة » المقطوع بنسبته إلى « قاسم أمين » لا تطالعنا هذه المباحث الفقهية الإسلامية ، بل ونجد بدلًا من أسماء المفكرين المسلمين ، ونماذج النساء العربيات المسلمات ، نجد بدلًا من ذلك أسماء المفكرين والكُتَّاب الغربيين ، مثل : « هيرودوت » المؤرخ .. والسياسي الأمريكي « الموسيو شامبل » ، وخلفه « جون هويت » .. والقاضي الأمريكي « جون لينجمان » .. والكاتب الفرنسي « بول بورجيه » .. والقانوني « كوندو روسيه » .. والأساتذة والشعراء والفلاسفة والكتاب : « فرشلو » .. و« مانتجازا » .. و« فلوري » .. و« سملس » .. و« شيلر » .. و« روسو » .. و« فنلون » .. و« لامارتين » .. و« بول دروزيه » .. و« أفلاطون » .. و« سبنسر » .. و« أدمون ديمولان » .. و « استوارت

ميل » .. إلخ .. إلخ ..

ومن أسماء السيدات الغربيات تطالعنا أسماء السيدات : « غوردون » ، و« كاري دينار » ، و« ستون » ، و« ماريه متشل » ، و« كارولين هرشل » ، و« تريز دوبافير » ، و« صوفي جرمين » ، والمركيزة « كلمنس رويه » ، و« مدام استيسل » ، و« مدام تارنوسكي » ، و« مدام لافايت » ، و« جورج صند » ، وزوجة « باستور » ، وبنت « لمبروزو » ، وبنت « لمارك » .. إلخ .. إلخ ..

وهي أسماء تعكس ثقافة « قاسم أمين » واهتماماته ، وتميز هذه الثقافة والاهتمامات عن مثيلاتها عند الأستاذ الإمام .. وتجعل من عملية استقراء النصوص في كل من الكتابين ـ « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » ـ الطريقة المثلى والعلمية في تمييز ما لهذا وما لذاك في هذا الإنتاج الفكري ..

* وملاحظة أخيرة ، نستخلصها من هذه المقارنة ، تتعلق بالفكر والمدى الذي يقدمه كل من الكتابين بصدد الحديث عن حرية المرأة المصرية والشرقية ، ففي « تحرير المرأة » ـ الذي ترك الأستاذ الإمام على مجموعهِ بصمات فكره ، وأنشأ بعض فصوله ـ يقف في مطلب المساواة بين المرأة والرجل في التعليم عند التعليم الابتدائي ، كما قدمنا ، أما في « المرأة الجديدة » فإن قاسم أمين يطلب المساواة التامة في هذا الميدان ، فيقول عن التربية : إننا « لا نجد من الصواب أن تنقص تربية المرأة عن تربية الرجل » . ولذلك نجده يرتب على ذلك تحبيذ اشتغال المرأة بالحياة العامة وانخراطها في سلكها ، فهو يطلب أن تتقن المرأة ، على الأقل ، حرفتين أساسيتين ، وأن تحترفهما ، وهما : حرفة صناعة تربية الأطفال ، وحرفة صناعة الطب .. وهو تعليم عال وجامعي ، وانخراط في سلك الحياة العامة كانخراط الرجال

.. وهو إذا ما أضيف إلى نموذج المرأة الغربية التي زخر الكتاب بضرب الأمثلة عن غزوها لمختلف مجالات العلم والعمل التي يعمل فيها الرجال ..

إذا ما لاحظنا ذلك بدت أمامنا الفروق واضحة بين فكر الكتابين ، وهي الفروق النابعة من موقف كل من الرجلين من تلك القضية .. موقف « الأستاذ الإمام » ، وموقف « قاسم أمين »[1] اهـ .

☆ ☆ ☆ ☆

وبعد أن أفرغ الدكتور « محمد عمارة » كل طاقاته ليؤكد بما لا يدع مجالًا للشك صياغة الشيخ « محمد عبده » للفصول الفقهية لكتاب « تحرير المرأة » ، راح يخلع عليه ألقابًا كبيرة ليرسم حوله هالة عظيمة من الإجلال ويعطي أقواله صفة الفتاوى لتكون مقبولة لدى القراء ، على عادة القوميين حين يترجمون لهذه الشخصيات ، أو يستشهدون ببعض أقوالهم ، فيقول مثلًا :

* ففي « تحرير المرأة » ، وبالذات في الفصول التي تتناول وجهة نظر الشريعة والدين في هذه القضية ، نلتقي بمجموعة من الآراء الفقهية والمناقشات لا يستطيع أن يبحثها ولا أن يستخلصها كاتب مثل قاسم أمين . بل وأهم من ذلك نجد أحكامًا كلية تدل على أن صاحبها ومصدرها قد استقصى بحث هذا الأمر في جميع مصادره الرئيسية في الفكر الإسلامي ، على اختلاف مذاهبه وتياراته الفكرية ، وهو الأمر الذي لا نعتقد أنه قد توافر في ذلك العصر سوى لقلة قليلة في مقدمتهم جميعًا « الأستاذ الإمام » ...

---

(١) قاسم أمين ـ الأعمال الكاملة ـ ص / ١٣٨ ـ ١٤٧ . ونجد البحث نفسه في : الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ١ / ٢٥٢ ـ ٢٦٢ ، وكلاهما : دراسة وتحقيق الدكتور محمد عمارة .

* ويقول : « واتفق أئمة المذاهب .. على أنه يجوز للخاطب أن ينظر إلى المرأة التي يريد أن يتزوجها .. » .. وهو حكم لا يتأتى إلا من مفكر اطلع ودرس واستقصى ما كتبه أئمة المذاهب ، كل المذاهب في الإسلام .

*كما يتحدث عن « الحجاب » الذي ورد حديث القرآن عنه .. فيقسمه إلى حجاب خاص بنساء النبي ، وآخر لنساء المسلمين ، ويورد نصوص كل قسم ، سواء ما جاء منها في القرآن أو السنة النبوية ... وهو يتناول هذه القضية بمستوى المفكرين المجتهدين ، وليس فقط بمستوى الدارسين أو الهواة

* وبصدد حديثه عن النصوص التي وردت في الحجاب ... يقول فيه : فمن يستطيع أن يصدر مثل هذا الحكم القاطع بعد هذه الإحاطة الشاملة ؟؟ لا أعتقد أنه قاسم أمين ... ولا أظنه إلا الأستاذ الإمام ..

* وحين يواصل الحديث عن الطلاق وينقل كلام « محمد عبده » في ذلك يقول فيه : « فهو حكم مفكر أحاط بما قدمه أئمة المذاهب .. وأيضًا بما قدمه الفقهاء من أتباع هؤلاء الأئمة من أحكام ، كما أحاط بالتطبيقات التي أجروها لهذه الأحكام على الوقائع وما نتج عن ذلك من تفريعات » ..

* ويصفه أيضًا بالمفكر المجتهد إلخ .. وأنه أكثر من الاقتباسات عن أمهات الكتب في الفقه الإسلامي مع توثيق النصوص كما يصنع كبار المحققين .. » !!!

والدكتور « عمارة » يخلع على ممدوحه كل هذه الألقاب الكبيرة ، ويخصه بتلك العبارات الطنَّانة ليقنع القارئ ـ بأسلوب مُنَمَّقٍ مُبطن ـ أنَّ الأحكام الشرعية التي حملها كتاب « تحرير المرأة » صحيحةٌ ومسلَّمٌ بها صاغها إمام مجتهد !!! ووثق نصوصها من أمهات كتب الفقه الإسلامي على

عادة المحققين !!! وبالتالي فليس على القارئ إلا التسليم لتلك الأحكام ..

وهكذا نجد أن دعاة التغريب يستمدون قوتهم وشهرتهم ونفوذهم من الدعايات التي يقوم بها نظراؤهم ، والقوى الخفية التي تدعمهم في أعمالهم أو المفتونون بهم الذين لم يطلعوا على أحوالهم .

هذه هي حقيقة كتاب : « تحرير المرأة » ، وهذا هو دور الشيخ « محمد عبده » في هذا الكتاب الخطير الذي أحدث انقلابًا في عالم الأسرة ، دمر كثيرًا من الفضائل ، وأقام على أنقاضها جملة من الرذائل ، ما تزال الأسرة تعاني من مفاسدها أشد المعاناة ..

☆ ☆ ☆

وللاعتبارات السابقة ، المُقْنعة في جملتها ، فإننا نرجح أن الشيخ « محمد عبده » قد صاغ الفصول الفقهية من كتاب « تحرير المرأة » ؛ وليس هذا غريبًا على رجل سعىٰ جاهدًا لتقريب الإسلام من قيم الحضارة الغربية التي فُتِنَ بها .

غير أن الدكتور « محمد عمارة » لم يجد من علماء المسلمين ومفكريهم من يستأثر باهتماماته ، فيجمع أعماله ، وينشر أقواله ، ويحتفي به سوى : « قاسم أمين » ، و« جمال الدين الأفغاني » ، و« محمد عبده » ، و« عبد الرحمن الكواكبي » ، و« رفاعة الطهطاوي » ، الذين لهم سجل أسود في تاريخ الإسلام المعاصر ، رغم إبراز القوميين إياهم ، وبعض المفتونين بهم ، وغير المطّلعين على أحوالهم ، بمظهر المصلحين !!! بل والمجددين !!!

* فـ **« قاسم أمين »** : كان سبب فساد المرأة في الشرق . وقد استعرضنا أفكاره في الصفحات السابقة بما يغني عن إعادتها هنا .

* و « **جمال الدين الأفغاني** » : كان أول من أدخل نظام الجمعيات السرية في العصر الحديث إلى مصر ، وأنشأ « جمعية مصر الفتاة » السرية ، وأصدر صحيفة تنطق باسمها ، وهي صحيفة « مصر الفتاة » ، ولم يكن فيها مصري واحد كما روى تلميذه « محمد عبده » في كتاب : « أسباب الحوادث العرابية » وكان أغلب أعضائها من شُبَّان اليهود .

ثم أنشأ محفلًا ماسونيًا تابعًا للشرق الفرنسي ، وكان مسؤولا عن اغتيال « ناصر الدين » شاه إيران ، حيث اتصل برجل هارب من إيران يدعى : « ميرزا رضا الكرماني » وحرضه على قتله ، فتسلل إلى إيران واغتاله سنة « ١٨٩٦» م .

وكان يدعو العرب إلى إنشاء دولة عربية ، لأن الدولة العثمانية على وشك السقوط والانحلال ، ولا ينبغي أن يشاركها العرب هذا المصير ، فيجب أن يكونوا دولة عربية حليفة لإنجلترا تصبح مقرًا للخلافة الإسلامية ، ويكتب في ذلك كتابه المشهور الذي سمَّاه : « مستقبل الإسلام » .

وأما عن موقفه من سفور المرأة ، فقد عبَّرَ عنه بقوله : « لا مانع عندي من السفور إذا لم يُؤدِّ إلى الفجور »[١] .

وكان أول العاملين على إفساد الأزهر باسم : « التجديد » . وقد سمعت من أستاذنا العلامة الشيخ « محمد الحامد » رحمه الله تعالى وهو يحدثنا عن مخاطر هذا الرجل أنه قال : « قال الأفغاني : لقد ألقيت قنبلة في الأزهر ستنفجر بعد حين » ..

قال شيخنا مُعَقِّبًا على ذلك : « فكانت القنبلة ذلك التطوير الذي أفسد

(١) صحوة الرجل المريض (ص / ٣٤٢) .

الأزهر فيما بعد » .

ولعل هذه الأمور هي التي دفعت الشيخ « أبا الهدىٰ الصيادي » إلى أن يكتب خطابًا للشيخ « رشيد رضا » سنة « ١٨٩٨ » م يصفُ فيه « جمال الدين الأفغاني » بأنه : « مارق من الدين ، كما مرق السهم من الرمية »[(١)].

* **وثالث هؤلاء** الذين احتفى بهم الكاتب ، فجمع أعماله ، هو الشيخ « محمد عبده » ، الذي كان علمًا من أعلام الماسونية في الشرق .

عمل شطر حياته الفكرية والسياسية تحت إشراف « الأفغاني » ، وكان خادمًا لأهدافه يرى بعينه ، ويفكر بعقله ، ويكتب بوحيه . والشطر الثاني من حياته هو الذي عمل فيه بعد عودته إلى مصر في ظل صداقة « اللورد كرومر » والمستر « بْلَنت » . مما تشهد به تقارير « كرومر » السنوية ، وكتابه عن « مصر الحديثة » وعن « عباس الثاني » ، ومذكرات المستر « بْلَنت » وكتابه : « التاريخ السري للاحتلال البريطاني لمصر » وهي صداقة تركت أثرها في سلوك « محمد عبده » وفي آرائه .

وهو الذي قام بدور التقريب بين الإسلام وبين الحضارة الغربية ؛ وقد بلغ هذا التقريب المقصود قمة التطرف حين دخل « محمد عبده » في مفاوضات مع القسيس الإنجليزي « إسحاق تيلور » للتقريب بين الإسلام والنصرانية ، وهي المفاوضات التي أشار إليها تلميذه « رشيد رضا » ، ونشر رسالتين منها في الجزء الثاني من تاريخه ، وبيَّن اشتراك اليهود في الجزء الأول منها »[(٢)].

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب : « الإسلام والحضارة الغربية » (ص / ٦١ - ٧٣) .

(٢) لمعرفة « الأفغاني » و« محمد عبده » ، انظر : « الإسلام والحضارة الغربية » للدكتور محمد محمد حسين ، و« موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين ، وعباده المرسلين » =

ولست في مقام ترجمة الشيخ « محمد عبده » ، ولكنني أردت أن أكشفَ بعض مخازي هذا الرجل الذي تقلد منصب « مفتي الديار المصرية » وأن أُبرِزَ دَورَهُ في كتابة أخطر مباحث كتاب « تحرير المرأة » الذي صدر باسم « قاسم أمين » ، وألفتَ النظر إلى شيخه الخطير « جمال الدين الأفغاني » الذي أشرتُ إليه قبل قليل .

وإني سأقول كلمة للتاريخ ، وأنا على يقين تام بأنها ستكون شديدة الوقع على القوميين ، ودعاة التغريب ، والمؤسسات المشبوهة التي تعمل في الخفاء لإبراز « محمد عبده » وشيخه « جمال الدين الأفغاني » وأضرابهما ؛ وقد تكون بمثل ذلك الوقع أو أشد على المخلصين لهذا الدين ، الذين خُدعوا بالمظاهر البراقة والعناوين الضخمة التي رَوَّجَتْ لها تلك المؤسساتُ المشبوهة لخداع المسلمين ولم يتيسر لهؤلاء المخلصين الوقوف على حقائق الأمور .

أقول : إن عالمنا الإسلامي لم يعرف في تاريخه الحديث ـ بعد العلمانية والباطنية واليهودية والتنصير ـ شخصية أخطر من « الأفغاني » و « محمد عبده » ، لما تركا من أثر بالغ الخطورة في المسلمين . ولئن ساهمت الدعاية التي تغذيها قوّى أجنبية ، وتيارات قومية في إبرازهما بصورة مُصلحَين عظيمَين ، فسوف يأتي اليوم الذي تتكشف فيه حقيقتهما في الدنيا ، أو ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ [المطففين : ٦] .. ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَائِرُ * فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ [الطارق : ٩ ، ١٠] ..

= للشيخ مصطفى صبري ، و« صحوة الرجل المريض » لموفق بني مرجبة ، و« الماسونية في إيران » لإسماعيل رائين ، و« الفكر الإسلامي المعاصر » لغازي التوبة .

وحسبي أن أنقل لك كلمة لشيخ الإسلام العلامة « مصطفى صبري » ، الضليع في العلوم الإسلامية ، والعالم بما يسره الله له من الخفايا السياسية ، في كتابه الرائع : « موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين » ، قال : « أما النهضة الإصلاحية المنسوبة إلى الشيخ « محمد عبده » ، فخلاصتها أنه زعزع الأزهر عن جموده على الدين ، فقرّب كثيرًا من الأزهريين إلى اللادينيين خطوات ، ولم يقرب اللادينيين إلى الدين خطوة ، وهو الذي أدخل الماسونية في الأزهر بواسطة شيخه « جمال الدين الأفغاني » ، كما أنه هو الذي شجّع « قاسم أمين » على ترويج السفور في مصر .

فالشيخ بدلًا من أن يتغلب على مُناظِرِهِ ـ ويعني به هنا : « فرح أنطون » ـ ويهزم جيوش المتفرنجين الكامنين وراءه ، هزم جيش علماء الدين الذي هو جيشه نفسه ، بطول ما رماهم به من وصمة الجمود ، وبفضل ذلك حاز مكانة عظيمة عند المتفرنجين طبعًا ، وعند المنهزمين تبعًا »[1] .

ثم علق على هذا الكلام بقوله :

« وكان من مضار الشيخ بالإسلام وعلمائه الناشئين بعده أَنَّ حَمَلَةَ الأقلام بمصر ، المنحرفين عن الثقافة الإسلامية ، لما أكبروا الشيخ وآراءه الشاذة ، وأوجدوا له من السمعة العلمية السامية ما لا يزال طنينه في أذن الشرق الإسلامي ـ ولا شك في تأييد القوة الماسونية له ـ كان ذلك حثًّا للذين يحبون الشهرة والظهور من شباب العلماء وكهولهم ، على نيل ما أرادوه بواسطة الشذوذ في الرأي ، والتزلف إلى الكُتَّاب المتفرنجين ، بل

(١) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين ١ / ١٣٣ ـ ١٣٤ .

الانتماء إلى الماسونية » . اهـ[1]

وقال أيضًا رحمه اللَّه تعالى : « فما هي حقيقة موقف الشيخ من الدين الذي يدافع عنه ثم لا يقبل كثيرًا من نصوصه ، ويخرج على صراحة الكتاب في احتجاب النساء ؟

فما هي إذن حقيقة موقف الشيخ من الدين ؟ هل هو صديقه الساهر أو عدوه الماكر ؟ .. فلعله وصديقه أو شيخه « جمال الدين » أرادا أن يلعبا في الإسلام دور « لوثر » و« كلفين » زعيمي البروتستانت في المسيحية فلم يَتَسَنَّ لهما الأمر لتأسيس دين حديث للمسلمين ، وإنما اقتصر سعيهما على مساعدة الإلحاد المُقَنَّع بالنهوض والتجديد » . اهـ[2]

هذا هو الشيخ « محمد عبده » فهل عرفتَه ، وذاك هو دوره فهل أدركتَه وذلك هو « الأفغاني » فهل خَبِرْتَهُ ؟ أرجو ذلك لتتأكد كيف تصنع الدعاية ومن ورائها وسائل الإعلام المغرضة ، من الأقزام رجالا ، ومن دعاة التغريب أبطالا ..

○ ○ ○ ○

---

(١) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين ١ / ١٣٤ .

(٢) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين ١ / ١٤٣ ـ ١٤٤ .

المطلب السادس

دور « سعد زغلول » في كتاب : « المرأة الجديدة »

مرَّ بك أن « سعد زغلول » وزملاءه ، ساءهم ردُّ « قاسم أمين » على « دوق داركير » ، لأنه لم يكن ـ آنذاك ـ في صف النهضة النسائية التي كانت تمثلها الأميرة « نازلي فاضل » ؛ ورأوا فيه ـ أيضًا ـ تعريضًا جارحًا بها فتشاوروا فيما بينهم للرد عليه .. ثم أقنعوا « قاسم أمين » بالاعتذار إليها ، ففعل ، وقبلت اعتذاره .

ثم راح يتردد عليها ، ويتودد إليها ، فألف كتاب « تحرير المرأة » إرضاءً لعينيها !!

ولما ظهر هذا الكتاب اشتدت عليه الحملات ، وزادت الانتقادات ، وهوجم بعنف وضراوة . لكنَّ « قاسمًا » أخذته العزة بالإثم فألَّفَ كتابه الآخر « المرأة الجديدة » .. ولئن كان للشيخ « محمد عبده » دور بارز في تشجيع « قاسم أمين » على القيام بتأليف كتاب « تحرير المرأة » ثم مساهمته الفعلية في صياغة مباحثه الفقهية ، فإن لـ « سعد زغلول » ـ تلميذ « محمد عبده » ـ مشاركة عملية في الأفكار التي أودعها « قاسم أمين » كتابه الآخر « المرأة الجديدة » ، الذي فاق به الكتاب السابق سوءًا ، وزاد عليه شرًا ، وأظهر خطر هذه الدعوة وأهدافها .. ولم ينسَ « قاسم أمين » لصديقه « سعد » هذه المشاركة ، فكافأه عليها بأن جعل إهداء الكتاب له ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية : ١٨] .

ومما يؤكد تلك المشاركة اعتراف « سعد زغلول » نفسه بها أثناء مقابلته

لوفد طلبة مدرسة الحقوق الفرنسية .

وقد نقل ذلك « محمد إبراهيم الجزيري » في معرض الثناء والإعجاب ، تحت عنوان : « **الرئيس وتحرير المرأة** » فقال :

« استقبل الرئيس الجليل ـ رحمه اللَّه ـ في مكتبه ببيت الأمة في اليوم الأول من فبراير سنة ١٩٢٤ وفد طلبة مدرسة الحقوق الفرنسية ، فخاطبته الطالبة الآنسة : « أليس صقال » بالفرنسية ، مهنئة بالنيابة عن الطلبة من الجنسين ، فرد عليها ـ رحمه اللَّه ـ بالفرنسية بكلمة نفيسة هذه ترجمتها :

أيتها الآنسات : إنني مبتهج بزيارتكنّ ، وأُعَبر لكُنَّ بدوري عن سروري برؤيتكنّ راغبات في المعاونة في العمل الاجتماعي والفكري المفروض على الجميع .

إني من أنصار « تحرير المرأة » ، ومن المقتنعين به ، لأنه بغير هذا التحرير لا نستطيع بلوغ غايتنا !!! ويقيني هذا ليس وليد اليوم ، بل هو قديم العهد ، فقد شاركت منذ أمدٍ بعيد صديقي المرحوم « قاسم بك أمين » في أفكاره التي ضمَّنها كتابه الذي أهداه إليَّ (يريد كتاب : المرأة الجديدة) ، فضلًا عن أن الدور الذي قامت به المرأة المصرية في حركتنا الوطنية كان عظيمًا ونافعًا . فاستمرِرْنَ إذن في العمل الذي بدأْتُنَّ به ، وأنا ضامن لكُنَّ النجاح التام » . اهـ[1]

هكذا كان موقف « سعد زغلول » من قضية المرأة .. وسيمر بك ـ إن

---

(١) آثار الزعيم سعد زغلول ، عهد وزارة الشعب (١ / ٦٨ ـ ٧٣) جمع وترتيب : محمد إبراهيم الجزيري .

شاء اللّه تعالى ـ تفصيل ذلك في المبحث الخامس الخاص به ، لتعرف دوره الخطير ، وسلوكه المشين ، ثم لتتأكد أيَّ نوعية تُصنع منها هذه الزعامات ..

o o o o

المطلب السابع

عدول « قاسم أمين » عن دعوته

يقول الأستاذ « أنور الجندي » : « غير أن الذي يلفت النظر أن « قاسم أمين » عدل عن رأيه هذا من بعد ، وظهر له أنه أخطأ الطريق .. وقد تبين هذا حين صرح « قاسم أمين » في حديث له إلى صحيفة « الظاهر » التي كان مُصدِرها المحامي « محمد أبو شادي » حيث أعلن رجوعه ، وأعلن أنه كان مخطئًا في « توقيت » الدعوة إلى تحرير المرأة ... هذا التصريح نشرته جريدة « الظاهر » في أكتوبر سنة « ١٩٠٦ م » . قال « قاسم أمين » :

« لقد كنت أدعو المصريين قبل الآن إلى اقتفاء أثر الترك بل الأفرنج في نحو تحرير نسائهم ، وغاليتُ في هذا المعنى حتى دعوتهم إلى تمزيق ذلك الحجاب ، وإلى إشراك النساء في كل أعمالهم ومآدبهم وولائمهم .. ولكني أدركت الآن خطر هذه الدعوة بما اختبرته من أخلاق الناس .. فلقد تتبعت خطوات النساء في كثير من أحياء العاصمة والإسكندرية لأعرف درجة احترام الناس لهن ، وماذا يكون شأنهم معهن إذا خرجن حاسرات ، فرأيت من فساد أخلاق الرجال بكل أسف ما حمدت اللّه على ما خذل من دعوتي ، واستنفر الناس إلى معارضتي .. رأيتهم ما مرّت بهم امرأة أو فتاة إلا تطاولوا إليها بألسنة البذاء ، ثم ما وجدت زحامًا في طريق فمرت به امرأة إلا تناولتها الأيدي والألسن جميعًا .

إنني أرى أن الوقت ليس مناسبًا للدعوة إلى تحرير المرأة بالمعنى الذي قصدته من قبل » .

* ومعنى كلام « قاسم أمين » هذا الذي نشره قبل وفاته بعام ونصف عام أنه قد اكتشف بعد سبع سنوات من دعوته ـ التي جاءت استدراجًا ومرضاة لنفوذ ، وليست خالصة لوجه اللّٰه تعالى ـ أنها لم تكن قائمة على أسسها الصحيحة ، وهي الدعوة إلى تربية الخلق ، والإيمان باللّٰه ، وأنها لم تكن على طريق الحق . أو ربما أن « قاسما » رأى بعد أن تغيرت الظروف بزوال « كرومر » ووفاة « محمد عبده » ، وانطفاء نفوذ « نازلي فاضل » ربيبة « كرومر » ، أن يتخفف من التبعة .

وربما كان لبعض التجارب أثرها في نفسه .. فها هو يروي أنَّ صديقًا عزيزًا زاره ذات مرة ، فلما فتح له الباب ، قال : جئت هذه المرة من أجل التحدث مع زوجك ، فدهش « قاسم » كيف يطلب مقابلة زوجته ، فقال له صديقه : ألست تدعو إلى ذلك ؟ إذن لماذا لا تقبل التجربة مع نفسك ؟ فأطرق « قاسم أمين » صامتا .

ومما يذكر أنَّ « السيدة زوجة قاسم أمين » كتبت منذ سنوات تعلن أن دعوة « قاسم أمين » كانت خطيرة ، وأنها لم تكن قائمة على أساس صحيح

* وقال « محمد فريد وجدي » : « إن دعوة « قاسم أمين » قد أحدثت تدهورا مريعًا في الآداب العامة ، وأحدثت انتشارًا مفزعًا لمبدأ العزوبة ، وأصبحت ساحات المحاكم غاصة بقضايا هتك الأعراض ، وهرب الشابات من دور أهلهن » .

* ونَعَتْ « بنت الشاطئ » ما تكشَّف من حركة تحرير المرأة مما أَسمَتْهُ مهزلة أليمة موجعة .. تقول « بنت الشاطئ » :

« إن الرجال ساقونا لنعمل لحسابهم .. وهم يوهموننا أننا نعمل أو

يعملون معنا لحسابنا .. ذلك أن الرجال رتبوا لنا الخروج زاعمين أنهم يؤثروننا على أنفسهم .. ولكنهم كذبوا في هذا الزعم ، فما أخرجونا إلا ليحاربوا بنا السآمة والضجر في دنياهم » .

ثم قالت « بنت الشاطئ » :

« إن المرأة دفعت ضريبة فادحة ثمنًا للتطور ، ويكفي أن أشير في إيجاز إلى الخطأ الأكبر الذي شوّه نهضتنا ، وأعني به انحراف المرأة الجديدة عن طريقها الطبيعي ، وترفعها عن التفرغ لما نسميه : خدمة البيوت ، وتربية الأولاد . ونحن نرى البيوت أصبحت مقفرة منهن . أما الأبناء فتركوا للخدم . وقد نشأ هذا الانحراف الضال نتيجة لخطأ كبير في فهم روح النهضة . وبلغ من سوء ما وصلت إليه أن نادت مناديات بحذف نون النسوة في اللغة كأنما الأنوثة نقص ومذلة وعار . وأهدر الاعتراف بالأمومة كعمل من الأعمال الأصيلة لنا ، حتى سمعنا من يسأل : كيف تعيش أمة برِئةٍ معطلة .. يقصد بالرئة المعطلة هؤلاء الباقيات في بيوتهن يرعين الأولاد .. وزعموا أن المرأة تستطيع أن تجمع بين عملها في البيت ووظيفتها في الخارج » . اهـ كلام الدكتورة « بنت الشاطئ »[1] .

لقد دفع أعداء الأمة وعبيد الحضارة الأوربية « قاسم أمين » إلى دعوة ما يسمى « تحرير المرأة » ، حتى رأى بعينه مساوئها ، ولمس بيده أضرارها ، ومات عن عمر يناهز الثالثة والأربعين ، بعد أن زرع بيده بذور إفساد الحرث والنسل ، استجابة لرغبات ، ونزولا عند نزوات ، فإنا للّه وإنا إليه راجعون .

---

(١) حركة تحرير المرأة في ميزان الإسلام ص / ٣٣ - ٣٦ مع استدراك نحو سطر سقط من أول كلام « قاسم أمين » ، وذلك بالرجوع إلى النص نفسه في الصفحة / ١٢ من الكتاب المذكور .

وقد قام بإتمام الدور زعامات « حزب الأمة » ، وبعض الساسة المعروفين بولائهم للإنجليز ، أو المخدوعين بحضارة الغرب ، من أمثال : « سعد زغلول » ، و« فتحي زغلول » ، و« إبراهيم الهلباوي » ، و« لطفي السيد » ، و« طه حسين » ، و« كامل مرسي » ، وغيرهم ..

وما تزال الاتجاهات القومية ، والمؤسسات المشبوهة ترفد المجتمع الإسلامي كل يوم بأبنائها البررة (!!!) الذين يواصلون مهمة من سبقهم في إقصاء « المفاهيم والقيم الإسلامية » ، وإحلالهم بدلًا عنها « المفاهيم والقيم الغربية » (!!!) ، من أمثال : « نجيب محفوظ » الذي كافأَتْهُ تلك « الدوائر المشبوهة » على جهوده ، وماسونيته ، وقصصه ومسرحياته التي تخدم هذه الأغراض الماكرة بـ « جائزة نوبل العالمية » ، و« توفيق الحكيم » ، و« إحسان عبد القدوس » ، و« يوسف إدريس » ، و« لويس عوض » ، وبعض الممثلين والممثلات .

ورغم هذا الغزو الفكري الذي تقوده الزعامات المصطنعة ، والشخصيات المهجَّنة ، فإن الصحوة الإسلامية قد عرفت أعداءها الحقيقيين . ومع الضغوط المستمرة عليها ، والقمع الذي يُمارس ضدها ، واتباع سياسة « تجفيف المنابع » لإماتتها ، فإنها في نموٍّ مطَّرد ، ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة : ٣٢] .

○ ○ ○ ○

المبحث الخامس

سعد زغلول

« ١٢٧٣ ـ ١٣٤٦ هـ = ١٨٥٧ ـ ١٩٢٧ م »

لعب « سعد زغلول » دورًا بارزًا في سفور المرأة بوقوفه إلى جانب « قاسم أمين » ، ومناصرته له ، ومشاركته العملية في الأفكار التي أودعها كتاب « المرأة الجديدة » ، وتشجيعه على احتمال ما لقيه من معارضة . وقد أرغم زوجته « صفية » على إلقاء حجابها ، كما نزع بيده الآثمة حجاب « هدى شعراوي » عن وجهها .

* قال « عباس محمود العقاد » : « كان ـ يعني سعد زغلول ـ رجلا له رأي في المرأة ، وفيما ينبغي أن تكون عليه شريكة الحياة ، يخالف رأي السواد الغالب في تلك الأوقات ، وفي جميع الأوقات ، وحسبه من ذلك أنه هو الذي أعان « قاسم أمين » زميله وصديقه الحميم على إظهار كتابه في « تحرير المرأة » ، وتشجيعه على احتمال ما لقي في سبيله من سخط وعناء » اهـ[1]

* وقال الصحفي « مصطفى أمين » في جريدة المساء : « كان « قاسم أمين » لا يفترق عن « سعد زغلول » ، وكان « قاسم أمين » هو الذي توسط في زواج « سعد زغلول » بـ « صفية زغلول » . وكان « سعد زغلول » هو الذي وقف إلى جوار « قاسم أمين » عندما أصدر كتاب « تحرير المرأة » ، وهوجم بعنف وضراوة ، واتُّهِمَ بالكفر والـ ... ، ومنع من دخول قصر

---

(١) سعد زغلول ، ص / ٥٢٧ .

الخديوي بدعوى أنه يدعو إلى الإباحية . وأقفل الناس بيوتهم في وجهه ، وذهب عدد من الشبان المتحمسين إلى بيته في شارع الهرم ، واقتحموا بيته وطالبوا « قاسم أمين » أن يسمح لهم بأن يجتمعوا بزوجته على انفراد تطبيقًا لدعوته إلى سفور المرأة .

وعندما أقفل كبار المصريين بيوتهم في وجه « قاسم أمين » فتح « سعد » له بيته ، ودعاه هو وزوجته ليتناول الغداء والعشاء على مائدته ومائدة « صفية زغلول » .

وأصرَّ أن يخرج في عربته مع « قاسم أمين » ، ويطوف شوارع العاصمة متحديًا الأصدقاء الذين نصحوه بأن لا يظهر مع « قاسم أمين » في مكان عام ، وإلّا ضربه الناس بالطُّوب .

وعندما وضع « قاسم أمين » كتابه الثاني « المرأة الجديدة » متحديًا العاصفة الهوجاء ، ومطالبًا بأن تحضر المرأة مجالس الرجال ، وتمارس الأعمال الحرة ، أهدى كتابه الجديد إلى « سعد زغلول » صديقه الحميم ، ونصيره الأول » . اهـ[١]

وكان لسعد جرأة على المجاهرة بالمنكرات ، وتخطي الحدود التي شرعها الله عز وجل ؛ وله في ذلك مواقف سيئة أسوق بعضها ، ليتبين للقارئ مدى هذه الجرأة التي بلغت به منتهىٰ الوقاحة . وصدق رسول الله ﷺ إذ

(١) عودة الحجاب ، القسم الأول ، ص / ٢٧ ـ ٢٨ نقلا عن « جريدة المساء » الخميس ٤ أغسطس / آب ، عام ١٩٨٣ من مقالة بعنوان : « هل انتحر محرر المرأة » ؟ . هذا وقد ذكر الصحفي « مصطفى أمين » في مقالته هذه أنه حدثت قطيعة بين الصديقين حتى الموت ، تسببت من لعب « قاسم أمين » بالورق « القمار » حتى خسر مبالغ طائلة أودت بثروته ، وأثقلته بالدين .

يقول : « ... إذا لم تستح فاصنع ما شئت »[١] .

ومن هؤلاء وأمثالهم يصنع أعداؤنا الزعامات :

١ ـ « صحبت « صفية زغلول » زوجها « سعد زغلول » في باريس لحضور مؤتمر الصلح سنة ١٩٢٠ لعرض القضية المصرية ، وقد مكثت « صفية » ترتدي الحجاب إلى أن غادرت مع « سعد زغلول » إلى مصر بعد عودته من منفاه . وعلى ظهر الباخرة التي نقلتهما إلى الإسكندرية ، وجد « سعد » البحر وقد امتلأ بألوف المخدوعين يستقبلونه بالقوارب ، وقال « سعد » لـ « صفية » : ارفعي الحجاب !! وتدخَّل « علي الشمسي » ، و« واصف بطرس » !! ـ من أعضاء الوفد ـ وعارضا في ذلك . فقال « سعد زغلول » : المرأة خرجت إلى الثورة بالبرقع ، ومن حقها أن ترفع الحجاب اليوم .. ورفعت « صفية زغلول » الحجاب ، ثم وقفت إحدى صنائع الاستعمار تخطب في القاهرة في احتفال الشعب المخدوع بقدوم « الزعيم » ، وطلب منها رفع الحجاب .. وعندئذ رفعت الحاضرات الحجاب » . اهـ[٢]

٢ ـ وفي الذكرى السبعين لموت « قاسم أمين » ، جاء في جريدة « الجمهورية » : « ولما تولى سعد زغلول زعامة الشعب في عام ١٩١٩ ، اشترط على السيدات اللواتي يحضرن لسماع خطبه أن يزحن النقاب عما سمح الله به من وجوههن !!! وكانت هذه أول مرحلة

---

(١) أخرجه أحمد ٥ / ٣٨٣ ، والبخاري (٦ / ٥١٥ و ١٠ / ٥٢٣ فتح الباري) ، وأبو داود ٤ / ٢٥٢ ، وابن ماجه ٢ / ١٤٠٠ ، والبزار (٢ / ٤٢٩ كشف الأستار) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨ / ٢٧ : رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح .

(٢) الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية ص / ٢٥٥ .

عملية للسفور » . اهـ[١]

٣- وتقول السيدة « فاطمة عصمت زكريا » : « وبعد تعيينه وزيرا أراد مجموعة من النساء المصريات في القاهرة أن يجتمعن به لأمر من الأمور ، فدخل عليهن ، وبُهت ، إذ فوجئ بأنهن يسدلن الحجاب على وجوههن ، فرفض الدخول والاجتماع بهن إلا أن يكشفن وجوههن ، فأبين ذلك ، ولم يحصل الاجتماع » . اهـ

ومن هنا فلا تعجب إذا رأيتَ « مصطفى كامل » يعلق على تصرفات الوزير « سعد زغلول » قائلا : « إن الناس قد فهموا الآن أوضح مما كانوا يفهمون من قبل لماذا اختار « اللورد كرومر » لوزارة المعارف العمومية صهر رئيس الوزراء « مصطفى فهمي باشا » الأمين على وحيه ، الخادم لسياسته ..

أَلَا إن الذين كانوا يحترمون الوزير كقاضٍ ليأسفون على حاضره كل الأسف ، وليخافون على مستقبله كل الخوف ، ويفضلون ماضيه كل التفضيل . ذلك لأن الوزير قائم الآن على منحدر هائل مخيف » . اهـ[٢]

٤ ـ وقال العالم الجليل فضيلة الشيخ « وهبي سليمان غاوجي الألباني » : « نَفَتْ بريطانيا صديقها « سعد زغلول » وجماعته إلى جزيرة « سيسل » فترة ، ثم أعادته إلى مصر لتوليه رئاسة الوزارة ، وتوقع معه معاهدة ، فيكون احتلال بريطانيا لمصر شيئًا رسميًا متفقًا عليه !!

هُيِّئَ الجو في الإسكندرية لاستقبال « سعد » ، وأُعِدَّ سرادق كبير

(١) جريدة « الجمهورية » الصادرة في ٢٠ / ٤ / ١٩٧٨ م .

(٢) عودة الحجاب ، القسم الأول ص / ٤٥ نقلًا عن ملحق كتاب : « المرأة ومكانتها في الإسلام » لأحمد الحصين ص / ٢٠٨ .

للرجال وآخر للنساء المحجبات ، وأقيمت الزينات في كل مكان ، ونزل « سعد » من الباخرة . وعلى استقبال حافل وهتافات ، أخذ طريقه إلى سرادق النساء ـ دون سرادق الرجال ـ فلما دخل على النساء المحجبات ، استقبلته « هدى شعراوي » بحجابها ؛ فمد يده فنزع الحجاب عن وجهها ـ تبعًا لخطة لعينة ـ وهو يضحك ، فصفَّقتْ « هدى » ، وصفَّقتْ النساء لهذا الهتك المشين ، ونزعْنَ الحجاب ..

ومن ذلك اليوم سَفَرت المرأة المصرية استجابة لـ « رجل الوطنية سعد » !! وأصبح الحجاب نشازا في حياة المسلمة المصرية .

لقد فعل « سعد » بيده ما دعا إليه اليهوديّ القديم بلسانه فكلَّفتْهُ دمه . أما سعد ... » . اهـ[1]

قال شيخ الإسلام في الدوله العثمانية العلامة « مصطفى صبري » : « ... وإذا كنتُ اعتبرتُ الفعل المجرد أهون شرًا من القول في المعاصي ، مثل السفور ، فإني استثني منه ما قرأته في مقالة كُتبت لذكرى « سعد » من أنه هو الذي كشف بيده الستار عن النساء في محضر بعولتهن ، وعُدَّ ذلك من مناقبه ، لأن فعل زعيم عظيم مثل « سعد » يعتبر كوضع قانون لحزبه ، وتعليم المنحازين إليه ، وليس لهذا الوضع والتعليم دافع طبيعي يدفعه إليهما فلا يُغتفر ذلك الفعل له ، ويُلحق بالقول والأمر .

وكأني بعلماء الدين سكتوا عند وقوع تلك الحادثة احترامًا « لسعد » ، وانتقده عليه قليل منهم من غير تصريح باسمه ، كما هو المعتاد عند علماء

---

(١) المرأة المسلمة ص / ١٨١ ـ ١٨٢ ، الطبعة السابعة .

مصر في النقد ، لكن النهي عن المنكر ليس بجهاد مع الهواء ، وأن الحق وخاطرَ الإسلام أكبرُ من « سعد » وألف « سعد » . وإني تذكرت هنا « سعدا » الصحابي وقول النبي ﷺ فيه : « تعجبون من غَيرة سعد ، والله لَأَنا أَغْيرُ منه ، والله أَغْيَرُ مني » . اهـ[1]

□ **تحليل شخصية الزعيم « سعد زغلول » :**

لقد بدأ الزعيم حياته السياسية صديقا للإنجليز ، وختمها كذلك صديقًا للإنجليز ، وبدأها بمصاهرة أشهر صديق للإنجليز عرفته مصر في تاريخ الاحتلال الإنجليزي من أوله إلى آخره ، وهو « مصطفى فهمي باشا » .

وعن صداقته مع « اللورد كرومر » يحدثنا « سعد زغلول » نفسه في مذكراته فيقول : « كان يجلس معي الساعة والساعتين ، ويحدثني في مسائل شتى كي أتنور منها في حياتي السياسية » . مذكرات سعد زغلول ، كراس / ٢٨ ، ص / ١٥١٦ .

والمعروف أن « كرومر » في تقاريره السنوية كان حريصا على أن يُذَكِّرَ أنه يُعِدُّ جيلا جديدا من الشباب المصري المتفرنج الذي يُعجَبُ بالغرب ، ويحرص على التفاهم مع الاستعمار البريطاني وقبول العمل معهم .

وقد اختار « اللورد كرومر » « سعدا » وزيرًا للمعارف ، فحاول بمجرد تعيينه إحباط مشروع الجامعة المصرية ، وتصَدَّىٰ للجمعية العمومية حينما طالبت الحكومة في مارس ١٩٠٧ م بجعل التعليم في المدارس الأُميرية باللغة العربية ، وكان وقتئذ بالإنجليزية ، وكان الاحتلال هو الذي أحل اللغة

---

(١) قَولي في المرأة ص / ٧٤ ـ ٧٥ .

الإنجليزية محل العربية في التدريس[١].

ولعل من الحقائق العجيبة أن « اللورد كرومر » عام ١٩٠٧ م أعلن أنه يترك مصر مستريحًا ، لأنه أقام فعلًا القاعدة الأساسية لاستدامة الاحتلال ، وكان في هذا العام قد ألف « حزب الأمة » ، وأصبح « لطفي السيد » هو حامل لواء « الجريدة » ، و« سعد » ناظرا للمعارف .

وقد سخر « اللورد كرومر » في خطبة الوداع التي أقامها له رجال « حزب الأمة » من أولياء النفوذ الأجنبي من المصريين جميعًا ، ولم يمدح في خطابه إلا رجلًا واحدًا هو : « سعد زغلول » . ومن هنا نجد « سعد زغلول » يكتب في مذكراته إثر استعفاء « كرومر » من منصبه في ١١ / ٤ / ١٩٠٧ م قائلا : « أما أنا فكنت كمن تقع ضربة شديدة على رأسه ، أو كمن وخز بآلة حادة فلم يشعر بألمها لشدة هولها » . « كراس / ٦ ، ص / ٢٤٠ » .

وكتب في موضع آخر يقول : « قد امتلأت رأسي أوهاما ، وقلبي خفقانا ، وصدري ضيقا » . « كراس / ٦ ، ص / ٢٤٦ » .

ويقول « لورد كرومر » في تقريره السنوي عن تعيين « سعد زغلول » ناظرا للمعارف : « لم يكن السبب الرئيسي في تعيينه كما يظن أحيانًا أنه استياء من الحالة التي كانت تسير عليها مصلحة المعارف العمومية ، فلا زالت قاصرة في أن توفر أية بادرة لتغير جذري في السياسة التعليمية ، إنه يرجع أساسا إلى الرغبة في ضم رجل قادر ، ومصري مستنير ، من تلك

---

(١) انظر : عودة الحجاب ، القسم الأول ص / ٤٥ ، وعزا النص الثاني إلى كتاب « مصطفى كامل » للرافعي .

الطائفة الخاصة من المجتمع ، المعنية بالإصلاح في مصر » .

وقال « كرومر » : « كما أن « سعدًا » من تلاميذ « محمد عبده » وأتباعه الذين أطلق عليهم « جيروند » الحركة الوطنية المصرية ، والذي كان برنامجهم تشجيع التعاون مع الأجانب لإدخال الحضارة الغربية إلى مصر » الأمر الذي جعل « كرومر » يحصر فيهم أمله الوحيد في قيام الوطنية المصرية .

وكان « سعد » في مقدمة الداعين لإقامة حفل توديع « اللورد كرومر » . وكتب في مذكراته يعلن ضيقه بالذين انتقدوا « كرومر » عقب استعفائه ، وقال : إن « صفاته قد اتفق الكل على كمالها » . « كراس / ٦ ، ص / ٢٤٥ »

وأشار إلى علاقة « غورست » خليفة « كرومر » به ، وأنه لما زاره قام فأوصله إلى باب حديقة دار الوكالة البريطانية ..[١]

أما عن أخلاقيات سعد ، وعلاقاته الاجتماعية ، فيقول الدكتور « عبد الخالق محمد شاهين » :

« لقد سبق القول بأن سعدا أصبح ينتمي إلى الطبقة الأرستقراطية كما يتضح من سلوكه وتصرفاته وعلاقاته الاجتماعية . ولبيان ذلك نذكر أن سعدًا لم ينقطع عن التردد على المجالس التي كانت تغشاها تلك الطبقة ، والتي كان من أشهرها آنذاك « نادي محمد علي »[٢].

بل إنه ذهب أبعد من ذلك عندما بدأ يمارس داخل هذا النادي من

---

(١) رجال اختلف فيهم الرأي ص / ١٦ ـ ١٨ .

(٢) مذكرات سعد زغلول ، كراس / ٣٠ ، ص / ١٦٥٤ .

عوائد تلك الطبقة الشيئ الكثير ، من أبرزها انعماسه في القمار ، وحبه للموائد الخضراء .

وتفيض مذكرات « سعد » بالتفاصيل المسهبة التي تبين مدى سيطرة هذه الغواية عليه ، ومحاولاته الإقلاع عنها ، والتخلص منها .

ولقد ابتدأ « سعد » في ممارسة هذه العادة عندما بدأ يتردد على ذلك النادي حيث إنه كتب يقول : « كنت أتردد بعد عودتي من أوربا على الكلوب ـ أي نادي محمد علي ـ فَمِلْتُ إلى لعب الورق »[(١)] .

ثم يضيف : « ويظهر أن هذا الميل كان بداية المرض ، فإني لم أقدر بعد ذلك أن أمنع نفسي من التردد على النادي ومن اللعب ، وبعد أن كان بقليل أصبح بكثير من النقود ، وخسرتُ فيه مبلغًا طائلًا »[(٢)].

وقد بدأ ذلك حوالي عام ١٩٠١ ، فقد كتب في إبريل عام ١٩١٣ : « كنت قبل ١٢ سنة أكره القمار ، وأحتقر المقامرين ، وأرى أن اللهو من سَفَهِ الأحلام ، واللاعبين من المجانين ، ثم رأيت نفسي لعبت ، وتهورت في اللعب . وأتى عليَّ زمان لم أشتغل إلا به ، ولم أفتكر إلا فيه ، ولم أعمل إلا له ، ولم أعاشر إلا أهله حتى خسرت فيه صحة وقوة ومالًا وثروة »[(٣)].

ولم يكن « سعد » يلعب وحده ، بل إن زوجته كانت تشاركه أحيانًا ـ وخاصة عندما يكونان معًا خارج مصر ـ . فقد كتب أثناء زيارته لأوربا صيف عام ١٩٠٨ : « أُفْطِرُ مع الست ـ أي زوجته ـ والباشا ـ أي مصطفى

---

(١) مذكرات سعد زغلول ، كراس / ٣٠ ، ص / ١٦٥٤ .

(٢) مذكرات سعد زغلول ، كراس / ٢٦ ، ص / ١٣٩٠ .

(٣) مذكرات سعد زغلول ، كراس / ٣ ، ص / ١٢٩ .

فهمي ـ وحسين ـ وهو ابن محمود صدقي ، عديل سعد ـ في الساعة تسعة وبعد أن نتمشى مع الباشا قليلا نعود إلى البيت لنلعب البوكر مع الست وحسين إلى الساعة واحدة .. ثم نتعشى في الساعة ثمانية ، وبعد ذلك نتمشى قليلًا في كثير من الأحيان ، ثم نعود لنلعب البوكر في الساعه ١١ مساءً ، وقد أَنفعلُ كثيرًا أثناء اللعب عند الخسارة . وصادف أن الزهر كان يعاكس ، ... ، ولكن مع ذلك كسبت ، ولم أخسر ، غير أن خسارتي كانت من طريقين : طريقي ، وطريق الست »[١].

ولقد تغلبت هذه الهواية على سعد إلى حد بعيد لدرجة أن يكتب : « وما كنت أصغي لنصائح زوجتي ، ولا أرِقُّ لتألمها من حالتي ، ولا أرعوي من نفسي »[٢].

كما أن توباته المتعاقبة لم تفده كثيرًا أو قليلًا في الإقلاع عنها ، بل إنه كان يجد في تدوينها تبريرًا يدفعه إلى الاستمرار فيها ، فقد كتب : « وقد يخيل لي أن كتابة هذه الخواطر وتسجيل تلك الواردات مما يساعد على الاستمرار في ارتكاب هذا الإثم ، كأن النفس تجد في هذه الاعترافات المكتوبة ، والاشمئزازات المرسومة فضيلة يكفيها الاتصاف بها عن الإقلاع عن نفس الرذيلة ، أو أن في الاعترافات المذكورة كفارة عن الذنب المقترف والجريمة المرتكبة (ترجيحًا) »[٣].

---

(١) مذكرات سعد زغلول ، كراس / ٢٤ ، ص / ١٣٠٠ ـ ١٣٠١ .

(٢) مذكرات سعد زغلول ، كراس / ٢٦ ، ص / ١٣٩٠ . وربما أن زوجته كانت تقف في وجه التيار الذي اندفع فيه فقط .

(٣) مذكرات سعد زغلول ، كراس / ٢٨ ، ص / ١٥٠٠ .

وقد وصل به الندم إلى حد أنه كتب : « وإني أوصي كل من يعيش بعدي ممن لهم شأن في شأني أني إذا مِتُّ من غير أن أترك اللعب أن لا يحتفلوا بجنازتي ، ولا يَحُِدُّوا عليَّ ، ولا يجلسوا لقبول تعزية ، ولا يدفنوني بين أهلي وأقاربي وأصهاري ، بل بعيدًا عنهم ، وأن ينشروا على الناس ما كتبته في اللعب حتى يروا حالة من تمكنت من نفسه هذه الرذيلة . وبئس العاقبة »[١].

ويكفي لمعرفة مبلغ الأثر الذي خلفه اندفاع « سعد » في هذا التيار على جوانب حياته الأخرى ، أن « سعدًا » الذي كان حتى مطلع القرن العشرين يقتني الضياع الواسعة ، ويبني البيوت الضخمة يقع تحت طائلة ديون كثيرة مما دفعه في الثالث من يناير عام ١٩١٠ إلى أن يبيع الضيعة التي كان قد اشتراها بناحية « قرطسا » بمديرية البحيرة في ١٠ إبريل عام ١٩٠٣ لقاء « اثني عشر ألف جنيه »[٢]، وقد باعها لرجل من أهالي « دمنهور » ويدعى « أحمد غزال » .

ولئن كان سعد يكتب أن الذي دفعه إلى بيعها أمران : أولهما : أنه لا يقدر على فلاحتها والانتفاع بها . ثم إنه عزم على التخلص من وظيفته ، وكان قد استلم من المبلغ « ستة آلاف جنيه » ، وقسط الباقي على ثلاث سنوات بواقع ألفَي جنية كل عام ، تسدد في ١١ يناير كل سنة .

إلا أن « سعدًا » يكتب في موضع آخر : « ثم بعت هذه الأطيان ـ وهي

---

(١) مذكرات سعد زغلول ، كراس / ٢٨ ، ص / ١٥٧٨ . وعملًا بهذه الوصية ، وأداءً لواجب النصح للأمة ، قمتُ بنشر هذه المقتطفات من مذكراته في هذا الكتاب .

(٢) مذكرات سعد زغلول ، كراس / ١٤ ، ص / ٧٥٣ .

ضيعة « قرطسا » ـ في سنة ١٩١٠ وذهب كل ثمنها أدراج الرياح فلم أستفد منه فائدة . والله معوض الخسائر ، وجابر الكسائر »[١].

كما أن « سعدًا » باع الضيعة الأخرى التي كان قد اشتراها بجهة « دسونس »[٢]و« مطوبس »[٣]في ديسمبر عام ١٩١٨ بمبلغ « ١٦٠٠٠ جنيه » اشترى بها أسهمًا لحساب زوجته . وهي التي تولى الإنفاق منها في أثناء فترات نفيه فيما بعد ، وفي أثناء فترة وجوده بأوربا عند عرض القضية المصرية على مؤتمر السلام بباريس[٤].

وليت الأمر وقف عند هذا الحد ، فقد ضاع معظم هذا المبلغ ـ بالإضافة إلى إيرادات سعد الأخرى من مرتب ، وإيجارات أطيان ـ في مدى عامين[٥] وأصبح « سعد » مدينًا في الخامس والعشرين من مارس عام ١٩١٢ ـ أي قبيل استقالته من نظارة الحقانية بأيام ـ بمبلغ « ٥٦٥٠ » جنيها [٦].

---

(١) مذكرات سعد زغلول ، كراس / ٢٧ ، ص / ١٤١٩ .

(٢) وهي قرية « دسونس أم دينار » ، مركز « دمنهور » ، مديرية « البحيرة » آنذاك .

(٣) وهي قرية بمركز : « فوة » بمديرية « البحيرة » وقتذاك أيضًا .

(٤) انظر : مذكرات سعد زغلول ، كراس / ٣٤ ، ص / ١٨٩٦ .

(٥) وتبلغ تلك الإيرادات كالآتي : « ٣٠٠٠ » جنيه راتبه السنوي كناظر من النظار ـ أي وزير ـ ، ثم « ١٥٠٠ » جنيه إيجارات بقية أطيانه . راجع مذكرات سعد زغلول كراس / ٢٦ ، ص / ١٣٨٦ .

(٦) مذكرات سعد زغلول ، كراس / ٢٦ ، ص / ١٣٨٧ ، وبيان ذلك المبلغ كالآتي :
« ٣١٠٠ » جنيه ديون للبنك الألماني الشرقي ، « ٢٠٠٠ » جنيه ديون لبنك روما ، ثم مبلغ « ٢٥٠ » جنيهًا لنادي محمد علي ، « ٢٠٠ » جنيه للتجار ، « ١٠٠ » جنيه لترزي ـ خياط ـ وبائع أقمشة في باريس .

وقد استحقت عليه مبالغ أخرى فبلغت ديونه « ٦٥٥٠ » جنيهًا وبذلك بدَّد « سعد » الكثير من ممتلكاته ، مما أدى به إلى أن يتشبث بمنصب النظارة إلى حدٍ بعيد طوال فترة اشتغاله بها ، وحتى في أواخر أيامها عندما أحسَّ بأن النية صارت مُبيَّته لإبعاده عنها .

وهو في مسلكه هذا لم يستمع إلى النصائح العديدة التي طالما وجهها إليه « مصطفى كامل » وغيره بضرورة التخلي عن هذه الوظيفة ..

ونستطيع أن نتبين ذلك مما كتبه « سعد » نفسه في ٢٥ مارس عام ١٩١٢ :

« أصبحت منقبض الصدر ، ضائق الذرع ، ولم أنم ليلي ، بل بتُّ طوله تساورني الهموم والأحزان ، وأتنفس الصُّعَداء على ما فرط مني من اللعب وضياع الأموال التي جمعتها بكدٍّ العمل وعرق الجبين ، وصيرورتي في حالة سيئة .

ولقد كان يجب عليَّ - خصوصا في هذه الأيام التي تَزعزَعَ فيها مركزي - أن أكف عنه حفظًا للبقية الباقية منه ، واتقاءَ أن أصير على ما أنا فيه من الضيق الشديد ، لأني صرت مدينًا »[1]...

ولعل اكتساب « سعد زغلول » لهواية اللعب ، وحب الموائد الخضراء جاءت من وراء تردده السنوي على أوربا ، أو على الأقل هو الذي شجع فيه هذا الميل ، والذي وجد له متنفسًا في « نادي محمد علي » . فقد كتب أثناء زيارته لأوربا صيف عام ١٩٠٩ يقول : « وأنا الآن هادئُ المزاج .. ولكن أشعر ببعض الحرج لوجود بعض المصريين هنا ، بينما أنا لا أريد أن أفعل أي شيءٍ يكون قابلًا للوم »[2]؟

كما أن ذلك التردد كان من وراء اكتساب « سعد » لعادات أخرى من

---

(١) مذكرات سعد زغلول ، كراس / ٢٦ ، ص / ١٣٨٧ .

(٢) مذكرات سعد زغلول ، كراس / ١٣ ، ص / ٦٣٥ .

بينها تعلم « البردج »[١]، والتي شرع في تعلمها أثناء وجوده على السفينة التي أقلته عند سفره من مصر إلى أوربا صيف ١٩٠٨ برفقة زوجته ، فقد كتب : « رأيت أربعة يلعبون « البردش » ، فحدثتني نفسي بتعلمه ، وقد كنت صحبت معي كتابًا فيه ، فتناولته ، وأخذت أطالع فيه ، ثم حضرت اللعب مرة »[٢].

وهكذا أجهز القمار على ثروة « سعد زغلول » التي جمعها ، وكانت ما يقرب من « ٤٠٠ » فدان .

ولعله ليس من الغريب أن يقتني « سعد » كل هذه الضياع في فترات محدودة ومتقاربة ـ والأهم من ذلك كله بعد زواجه من ابنة رئيس النُّظَّار ـ ويبلغ مجموع ما يدفعه فيها جميعًا ما قد يصل إلى « ١٨٠٠٠ » ألف جنيه ، « وألف » إردب قمح ، « وألفَيْ » جنيه مواشي » . اهـ[٣]

○ والأدهى من ذلك كله أن هذا « الزعيم » كان من أقطاب الماسونية ، وكان يقصد « محفل كوكب الشرق » « The Star if the Est » الذي لا يؤمُّه إلا المصريون ، أمثال : « جمال الدين الأفغاني » والشيخ « محمد عبده »[٤]. فقد جاء في كتاب « الأخوات المسلمات » : « ويتأكّد انتماء « سعد زغلول » إلى « الماسونية » بما جاء في مجلة « المصور » في العدد الخاص الصادر في ٢٣ سبتمبر عام ١٩٢٧ بعد وفاته

---

(١) « البردج » ، أو « البردش » ، وتسميها العامة في بلاد الشام « البرجيس » : لعبة من ألعاب القمار .

(٢) مذكرات سعد زغلول ، كراس / ٢٤ ، ص / ١٣٠٩ .

(٣) سعد زغلول ، دوره في السياسة المصرية حتى سنة ١٩١٤ ص / ٢٢٦ ـ ٢٣٥ ، بتصرف واختصار .

(٤) انظر : دائرة المعارف الماسونية المصورة (ص / ١٨١) لمؤلفه : « حنا أبي راشد » .

فقد نشرت المصور صورة الجنازة تحت عنوان : « الأمة والحكومة تشيعان الفقيد العظيم » ، وتحت الصورة مباشرة كتبت العبارة التالية : « وفد البنائين الأحرار الماسون في تشييع جنازة الزعيم الكبير ، وكان رحمه الله قطبا من أقطاب الماسونية » .

وتزيد جريدة « المقطم » هذا التأكيد بما جاء في عددها الصادر يوم الجمعة ٢٦ أغسطس / آب ١٩٢٧ ، فقد نشرت على الصفحة الأولى ما يلي : « حداد الماسونية على فقيد البلاد الأعظم .. فقدت الماسونية المصرية بفقد « سعد » العظيم الخالد عضدًا كبيرًا ، وفضلًا كثيرًا ، وذخرًا وفيرًا ، كانت تعتز بفضله .. وستقام حفلة جُنَّاز ماسونية للفقيد الأعظم يعلن موعدها فيما بعد » . اهـ[1]

○ هذه هي بعض الحقائق عن « سعد زغلول » من خلال مذكراته التي كتبها بيده ، والوثائق التي نشرت عنه .. وقد قدمتُ هذه النبذة المختصرة عن حياته لترى النماذج التي تُصنعُ منها زعامات العالم الثالث ، ولتتأكد من نوعية دعاة سفور المرأة وتحريرها ، ثم لتدرك حقيقة انتمائهم الفكري ، وانحرافهم السلوكي ، بل وزيغ بعضهم العقدي .. فهل يؤتمن هؤلاء على أمة ؟!! وهل ترتفع بهم للحق راية ؟!! وهل يصلحون لتوجيه مجتمع ؟!!

○ ○ ○ ○

(١) انظر : « الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية » ص / ٢٤٢ - ٢٤٤ .

المبحث السادس

هـــدى شعـــراوي

« ١٢٩٦ - ١٣٦٧ هـ = ١٨٧٧ - ١٩٤٧ م »

إذا عرفنا البيئة التي نشأت فيها « هدى شعراوي » عرفنا عندئذٍ حقيقة هذه المرأة ، وتكوينها الخاص الذي أهَّلها لزعامة أول حركة نسائية في العالم الإسلامي ، سرعان ما انتشر شررها فأتى على كثير من الفضائل في مصر ، ثم امتد أوارها ليشمل أرجاء عالمنا الإسلامي الكبير ..

ولدت « هدىٰ » في « المنيا » من الوجه القبلي بمصر عام ١٢٩٦ هـ - ١٨٧٧ هـ ، ونشأت في أحضان أبيها « محمد سلطان باشا » الذي كان من أشد أعداء الثورة العرابية ، بل لعب دورًا كبيرًا مع المخابرات الإنجليزية لوصولها إلى معسكر العرابيين في التل الكبير .

ولم يقف عند هذا الحدّ ، بل راح يعلن في الناس أن الإنجليز لا يريدون غزو بلادهم ، بل تأديب العصاة منهم ، ورافق الغزاة في زحفهم على القاهرة ، وطالب الناسَ بعدم مقاومتهم ، وطمأنهم على حياتهم ، وأَهدىٰ - بالتعاون مع أمثاله من الخونة - قادةَ جيش الاحتلال البريطاني كمية من الأسلحة الممتازة مكافأة لهم على إنقاذ البلاد حسب زعمهم ، فأنعم عليه الخديوي بعشرة آلاف جنيه ذهبي ، وقلَّده بيده « النيشان المجيدي الأول » ، وعيَّنه رئيسًا لمجلس شورى القوانين .

كما كافأته « بريطانيا » فمنحته نيشان « سان ميشيل » و « سان جورج » الذي يطلق على حامله لقب : « سير » .

وقد مات في أوربا بالسرطان عام ١٨٨٤ ، وترك ابنته « هدى » وهي في

السابعة من عمرها .

هذا هو « محمد سلطان باشا » والد « هدى » فمن هو زوجها يا ترى ؟؟

إن زوجها هو ابن عمتها « علي شعراوي باشا » ، ورفيق « سعد زغلول » و« عبد العزيز فهمي » ، وثلاثتهم أصدقاء الإنجليز . كما أنه أحد أعضاء « حزب الأمة » الذين أطلق عليهم الإنجليز اسم : « الرجال المعتدلون » لأنهم حاربوا في سبيل بريطانيا « مصطفى كامل » ، وناوأُوه ، ووصفوه بالرجل العنيف ، وقد كان هذا الحزب المشبوه ينكر « الجامعة الإسلامية » ويحاربها ، داعيًا إلى وطنية تقوم على المصلحة المتبادلة ، والمنفعة المادية ، لا على الإسلام . وهو الحزب الذي عُرِفَ فيما بعد باسم « حزب الوفد » [(١)].

وبما أنه من رجال هذا الحزب الموالي للاستعمار البريطاني ، والشاجب لمفاهيم « الحزب الوطني » في المفاوضة قبل الجلاء ، فقد كان أحد الثلاثة السابقين الذين قابلهم المندوب البريطاني لعرض مطالب مصر بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى .

والجدير بالذكر أن هذا العاثر كان القريب الحميم لمثيله : « محمد سلطان باشا » والد « هدى » ، وكان من الأغنياء الموسرين ، حاله حال كل ربيب للمستعمرين ، فتزوج ـ وهو في الخمسين من عمره ـ ابنة خاله

---

(١) عودة الحجاب ، القسم الأول ص / ٥٦ ، ثم عزا آخر النص إلى : « الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر » ٢ / ١٣٥ . وانظر ٢ / ٣٨٨ أيضًا .

« هدى » ـ وهي في الثالثة عشرة من عمرها ـ ، وكان وصيًا عليها بعد موت أبيها ، فانتسبت إليه ـ على عادة الغربيين ـ وصارت تدعى « هدى شعراوي » .

هذا زوجها ، وذاك أبوها ، فكيف يكون حالها ؟!!

وهل ينبتُ الخطِّيَّ إلا وشيجُه وتُغرسُ إلا في منابتها النخلُ

كانت « هدى شعراوي » متأثرة بزوجة « حسين رشدي باشا » الفرنسية التي كانت تكبرها ، وكانت ترىٰ فيها ما لم تره في النساء المصريات أو الشركسيات من اهتمامات تافهة . فقد كانت مشغولة بالثقافة والفكر والاجتماعيات ؛ وقد وصفت « هدى شعراوي » مبررات إعجابها بهذه المرأة واتخاذها مثلها الأعلى ، فقالت : « لم تكن تُعنَىٰ بظروفي وحالتي واسمي فقط ، وإنما كانت أيضًا تجتهد في تثقيفي في اللغة الفرنسية ، وكانت ترشدني إلى أثمن الكتب وأنفعها ، وكانت تناقشني فيما قرأت ، وتفسر لي ما يصعب عليَّ فهمه ، وكانت تغذي عقلي وروحي بكل أنواع الجمال والكمال .. وتُحتِّمُ عليَّ حضور صالونها كل يوم سبت ، وتقول لي : أنت زهرة صالوني »[1] .

وكانت هذه المرأة الفرنسية الأصل التي أعدَّتْ « هدى شعراوي » إعدادًا خاصًا لمهمتها ، قد أَلَّفتْ كتابين ، أولهما بعنوان : « حريم ومسلمات مصر » ، وثانيهما بعنوان : « المطلَّقات » ، تُعبِّرُ فيهما ـ على حدِّ قولها عن مدى الألم والتعاسة التي تعانيها من « أجل تعاسة المصرية ، وظلم الرجل لها »[2].

(١) مذكرات « هدى شعراوي » (ص / ٩٦) .

(٢) مذكرات « هدى شعراوي » (ص / ٩٩) .

وكانت على صلة وثيقة بحركة ما يسمَّىٰ بـ « تحرير المرأة » . كما كانت موضع اهتمام النابهين في مصر من رواد هذه الحركة ، وعلى رأسهم الشيخ « محمد عبده » ، و« سعد زغلول » ، و« قاسم أمين » الذي كانت تُعجب به كثيرًا ، وتأسف لعدم تقدير المصريين له التقدير اللائق برسالته ، « وكانت كثيرًا ما تقص على صفِيَّتها « هدى شعراوي » ما كان يدور بينها وبين هؤلاء الثلاثة الكبار من حديث »[1] تشعل به كيانها ، وتدفعها إلى التطلع إلى تحسين حال المرأة المصرية ، والترفيه عنها ، وكانت توجهها إلى أن تبدأ مشروعها بتوجيه المرأة المصرية إلى ممارسة الرياضة البدنية أولًا ، قبل تنبيهها إلى خوض الحياة الاجتماعية ، وترغيبها في الفنون والآداب ، وعقد اجتماعات تجمع بين الرياضة الفكرية ، والرياضة البدنية ، وكذا إعداد ملعب « للتنس » في حديقة : « مصطفى رياض باشا »[2] .

في مثل هذه الظروف نشأت « هدى شعراوي » ، وآمنت بهذه الأفكار التي كان المجتمع القاهري يغلي بها ؛ هذا فضلًا عن أن الذين أحاطوا بها من رواد ما يسمَّىٰ بـ « تحرير المرأة » عملوا على أن يُنشئوها على الإيمان بأهمية دورها في ريادة المرأة للمشاركة في النشاط الوطني ، ومحاربة المحتل

بجانب هذا لا ننسىٰ الاستعداد الطبيعي لدىٰ « هدى شعراوي » الناشئ عن تربيتها الخاصة ، فقد كانت أسرتها معتادة على التنقل بين القاهرة واستانبول وباريس ، وقد سافرت في شبابها إلى باريس سنة (١٩٠٩) ،

---

(١) مذكرات « هدى شعراوي » (ص / ١٠٣)

(٢) مذكرات « هدى شعراوي » (ص / ٩٩) .

وزارت محلاتها الكبرىٰ ، ورأت الأزياء والملابس الأوربية ، وأُعجبت بالفرنسيين رجالًا ونساءً ، وشاهدتْ ما عليه المرأة الأوربية ، وتمنت لو أنها استطاعت تحقيق ذلك في مصر ، الأمر الذي دفعها بعد عودتها إلى أن تنشئ ناديًا أدبيًا للنساء ، وأن تشكل لجنة نسائية ترعاه ، تحت اسم « جمعية الرقي الأدبي للسيدات »(١) .

لقد كانت « هدىٰ شعراوي » صديقة « صفية زغلول » زوج « سعد زغلول » ، وكانت هذه الأخيرة بحكم مركز أبيها « مصطفى فهمي » رئيس الوزراء ، وزوجها « سعد » وزير المعارف وزعيم الشعب مستأثرة بالزعامة السياسية . فاندفعت « هدى » نحو ما يسمى « تحرير المرأة » ، لتنفرد بالزعامة من وجه آخر .

وحين تفجرت المظاهرات في مصر في شهر آذار ـ مارس عام ١٩١٩ معبرة عن احتجاج شعب مصر على الاستعمار البريطاني شارك فيها بعض النساء ، ثم خرجن بعد ذلك في مظاهرة خاصة بهن يوم ٢٠ مارس ـ آذار عام ١٩١٩ تقودهن : « صفية زغلول » و« هدىٰ شعراوي » .

وقد تلا ذلك تشكيل أول لجنة للنساء الوفديات في عام ١٩١٩ م ، أشار بتأليفها « سعد زغلول » ، وكانت برئاسة « شريفة فاضل » ، وعضوية كل من : « هدى شعراوي » ، و« حرم عمر باشا سلطان » ، و« حرم سينوت حنا » ، و« حرم راتب باشا » ، و« حرم حجازي بك » ، و« حرم أبو أصبع » ، و« حرم بهي الدين بركات » ، و« حرم مرقس حنا » ، و« حرم

---

(١) انظر تفاصيل ذلك في مذكرات « هدى شعراوي » (ص / ١٢٤ ـ ١٣٣) .

ويصا واصف » ، و« حرم مكرم عبيد » ، و« حرم واصف باشا غالي » .

ثم تألفت لجان أخرى ، وكانت « صفية زغلول » التي كانت تدعى « أم المصريين » رئيسة لجنة النساء الوفديات ، وجميع لجان النساء في أنحاء البلاد .

وقد تلقَّفَ الغرب هذه الظواهر بكل ارتياح ، فوجَّهَ الدعوة إلى « هدى شعراوي » للمشاركة في « المؤتمر النسائي الدولي » الذي عقد في روما في شهر آذار ـ مارس عام ١٩٢٣ م ، فحضرته هي و« سيزا نبراوي » ومنحت عضويته في العام نفسه ، لأنها كانت على ثقافة فرنسية أوربية رشحتها لقيادة الحركة النسائية في مصر .

ولما عادت من « روما » فما كادت تطل على الإسكندرية حتى ألقت حجابها ، ودخلت مصر مع سكرتيرتها « سيزا نبراوي » سافرة عما أمر الله بستره .

ويذكر عن البعض أن « هدى شعراوي » حين عادت من فرنسا بصحبة كريمتها وزوج كريمتها « محمود باشا سامي » ، وسكرتيرتها « سيزا نبراوي » كانت تستقل الباخرة التي عاد عليها « سعد زغلول » من فرنسا بعد استشفائه ..

ولدى وصولها إلى ميناء الإسكندرية رفعت هي وسكرتيرتها الحجاب . تقول « هدى » : « ورفعنا النقاب أنا وسكرتيرتي « سيزا نبراوي » ، وقرأنا الفاتحة (!!!) ، ثم خطونا على سُلَّم الباخرة مكشوفتي الوجه » .

قال « خير الدين الزركلي » : « فكانت أول مصرية مسلمة رفعت الحجاب » . اهـ [1] .

---

(١) الأعلام (٨ / ٧٩) .

وتذكر « صافيناز محمد كاظم » ما فعلته « هدى شعراوي » بحجابها بعد أن نزعته ، فتقول : « ألقت « هدى شعراوي » و« سيزا نبراوي » حجابهما ، وداستاه بأقدامهما فور وصولهما من مؤتمر النساء الدولي الذي عقد بروما ... » . اهـ[١]

وهكذا أفرغَتْ هذه المرأة حقدها على الحجاب الذي شرعه الله عز وجل فوطئتْهُ بقدميها ، وحملت على ذلك نساء قومها ، وأعلنت الحرب على حكم من أحكام ربها .. وهل يعني « تحرير المرأة » شيئا غير ذلك لمن يفهم مراميه ، ويعرف قوادمه وخوافيه ؟!!

ويجدر بنا أن نذكر ما نَبَزَتْ به « هدى شعراوي » الحجابَ ، باعتباره ـ حسب زعمها ـ يحول بين المرأة وبين الثقافة وتجارب الحياة ، فتقول : « إن الحجاب لا يصون المرأة إن لم يكن لها رادع من نفسها . وهو الذي يحول بينها وبين الثقافة وتجارب الحياة ، ويحرم المجتمع من استثمار مواهبها . وإن غاية « الاتحاد النسائي المصري » لا تقتصر على رفع الحجاب ، والدعاية لمصر ، وإعلاء شأن نسائها ، لأن المرأة هي مقياس الحضارة في الأمم ، بل ترمي إلى خدمة الإنسانية ، وإنقاذ الأمة المصرية من الشلل النصفي الذي قعد بها عن التقدم ، وذلك بنشر تعليم البنت ، والعناية بصحة الأطفال ، ومحاربة الرذائل والخرافات ، وإعداد البنت لمعترك الحياة »[٢].

وهكذا تستثير داعية السفور حفائظ الناس على الإسلام بأسلوب رخيص ومَكرٍ خفي ، حيث تتهم الحجاب بأنه يحول بين المرأة والثقافة ، مما يجعل

(١) في مسألة السفور والحجاب ، ص / ٩ .

(٢) « الرسالة » بالقاهرة ، السنة ١٩٣٣ م ، العدد / ٢٥ ، مجلة « الإخاء » ٦ / ٦٩٦ .

نصف المجتمع ـ وهم النساء ـ مشلولا ، لأن الحجاب حال بينهن وبين العلم والعناية بصحةِ الأطفال ، ومحاربةِ الرذائل والخرافات ، وإعدادهن لمعترك الحياة ..

تقول إحدى داعيات التبرج ، المرأة الغامضة « دُرِّيَّة شفيق » : « ولكن « هدى هانم » دفعت بعد ذلك ثمن جرأتها وشجاعتها ، فاحتملت كثيرًا من التعليقات السمجة التي كانت تقابل بها هي وزميلاتها من الرائدات الأُول للنهضة النسائية كلما سِرْنَ في الطريق ، فكانت الملاحظات السخيفة ، والعبارات النابية في بعض الأحيان تؤذي أسماعهن ، ولكنهن مضَينَ إلى النهاية إذ كنَّ يعلمن أنَّ كل جديد لابُدَّ أن يقابل بالزراية والاستخفاف » . اهـ[1]

☆ ☆ ☆ ☆

وبعد هذه الخطوة الآثمة التي أقدمت عليها « هدى شعراوي » بنزعها الحجاب ، ووطئه بقدميها ، كوَّنتْ « الاتحاد النسائي المصري » عام ١٩٢٣ م وضمّ في عضويته كلًا من :

« استر فهمي ويصا » ، و« عنايات سلطان » ، و« سيزا نبراوي » ، و« جميلة عطية » ، و« عزيزة هيكل » ، و« نفيسة علوبة » ، و« ماري كحيل » ، و« بهيجة رشيد » ، و« إحسان القوصي » ، و« حفيظة الألفي » ، و« حواء إدريس » ..

○ أما عن بواعث نشأة هذا الاتحاد فيقول « محمد فهمي عبد الوهاب » : « تلقت السيدة « هدى شعراوي » دعوة إلى حضور مؤتمر

---

(١) المرأة المصرية ص / ١٣٨ . وسيأتي ترجمة « درية شفيق » ودورها السيء في « المبحث الثامن » إن شاء الله .

الاتحاد النسائي الدولي بروما سنة « ١٩٢٢ » . فلما عادت كونت « الاتحاد النسائي المصري » سنة « ١٩٢٣ » ، ووضعت الحجر الأساسي له في إبريل / آذار سنة « ١٩٢٤ » .

ومن هنا لا نعجب بطبيعة الحال أن يعمل الاتحاد النسائي بقيادة « ابنة سلطان باشا » للأهداف التي يحرص الاستعمار على الوصول إليها ، وأن يردد في سنة « ١٩٢٣ » نفس المبادئ التي نادى بها « مرقس فهمي » ، ونقلها عنه « قاسم أمين » ، وفي مقدمتها :

- تعديل قوانين الطلاق .
- ومنع تعدد الزوجات .

عِلاوة على المطالبة للمرأة بالحقوق الاجتماعية والسياسية المزعومة ، التي وصلت أخيرا إلى حد المطالبة بالمساواة في الميراث !!

ومما تجدر الإشارة إليه تلك الظروف التي أحاطت بقيام هذا الاتحاد النسائي ، واهتمام الدوائر الأجنبية بأمره ، حتى إن الدكتورة « ريد » رئيسة « الاتحاد النسائي الدولي » حضرت بنفسها إلى مصر ، لتدرس عن كثب تطور الحركة النسائية ، ولتناصر الحركة بنفوذها في المحيط الأوربي وبتصريحاتها التي ترمي إلى المسارعة بإعطاء المرأة المصرية الحقوق السياسية المزعومة .

وبعد عشرين عامًا من تكوين هذا الاتحاد ، استطاع بالنفوذ الأجنبي ، وبأذناب الاستعمار أن يمهد لعقد ما سمي بـ « المؤتمر النسائي العربي » سنة « ١٩٤٤ » ، وقد حضرت مندوبات عن الأقطار العربية المختلفة ، واتخذت فيه القرارات « المعتادة » وفي مقدمتها طبعًا :

ـ تقييد الطلاق .

ـ وتعدد الزوجات .

ـ والمساواة التامة مع الرجال في كل الحقوق والواجبات ..

ـ ليس ذلك فحسب ، بل قرر المؤتمر « الموقر » (!!!) المطالبة بحذف نون النسوة من قاموس اللغة العربية » . اهـ[١]

والمعروف أن « هدى شعراوي » لم تنطلق في دعوتها من أي منطلق إسلامي ، بل على العكس من ذلك كانت سافرة ، ولها صالون خاص بها ، ويتحلق حولها عدد من الرجال المجندين لكتابة الخطب والكلمات التي كانت تلقيها في الاحتفالات ، وكانت تنفق على ذلك من أموال « سلطان باشا » التي دفعت ثمنها الثورة العرابية .

وكان في مقدمة هؤلاء الذين كانوا يكتبون لها خطبها وكلماتها : « إبراهيم الهلباوي باشا » محامي دنشواي ، والشاعر : « محمد الأسمر » .

وقد استطاعت أن تجند بعض الشبان ، وأن ترسل بهم في بعثات تعليمية خاصة على حسابها إلى أوربا ، ومنهم من عمل في الصحافة من بعد ، وحمل لواء الدعوة إلى تقديس « هدى شعراوي » ، ودعا إلى تلك الأفكار التي تحرض المرأة على التحرر من القيود الاجتماعية ، والانطلاق ، حتى كان أحدهم يقول لواحدةٍ سألته : « لو كنتِ بغير أولاد لقلتُ لكِ اتركيه ورزقكِ على اللّٰه » .

والمعروف أن « هدى شعراوي » لم تكن تعبأ في دعوتها بالمفهوم

---

(١) الحركات النسائية في الشرق وصلتها بالاستعمار والصهيونية العالمية ص / ٢٣ ـ ٢٤ بتصرف

الإسلامي للمرأة ، أو تصدر عن فهم حقيقي لرسالة البيت والأسرة ، ولم تكن تتحرك في هذا الإطار .. وإنما كانت تضع أمامها المرأة الغربية كَمَثَلٍ أعلى .. ولذلك فقد شجعت أسباب الزينة ، والأزياء ، « والمودات المستحدثة » وكانت أجنحتُها من المثقفات ثقافة فرنسية ، وذات الولاء الماركسي والصهيوني ، ولم يكن للمفهوم الإسلامي لديهم أي أهمية .

يقول الأستاذ « حسين يوسف » : « إنه لم يكن عجبًا أن يعمل« الاتحاد النسائي » بزعامة « هدى شعراوي » للأهداف التي يحرص الاحتلال على الوصول إليها ، وأن يردد في عام « ١٩٢٣ » نفس المبادئ التي نادى بها « مرقس فهمي » من قبل ، والتي حمل لواءها « قاسم أمين »[1].

هذه هي « هدىٰ شعراوي » التي تبوأت مكانة عالية في الحركة النسائية العالمية ، فأصبحت وكيلة « الاتحاد النسائي الدولي » بعد أن تلقفتها جماعات « تحرير المرأة » المنتشرة في دول أوربا ، وخاصة في باريس ، وبرلين ، وبروكسل ، التابعة للمحافل الماسونية ، ومنظمات الصهيونية العالمية ، التي يديرها شياطين اليهود من وراء ستار ، مستهدفين وفق مخططاتهم التلمودية إحداث ضجة حول ما يسمى بـ « حقوق المرأة السياسية » واشتراكها في المجالس النيابية والوزارية ، ومساواتها بالرجل ، لضرب شبكات العلاقات الاجتماعية في المجتمع المصري المسلم ، ودفعه إلى طريق الانهيار .

هذه هي المرأة التي صنعت منها محافل الصهيونية والصليبية الدولية

---

(١) انظر : رجال اختلف فيهم الرأي ص / ٣٤ ـ ٣٥ ، وحركة تحرير المرأة في ميزان الإسلام ص / ٤١ ـ ٤٣ .

زعيمة لأخطر حركة في بلادنا تهدد سلام المجتمع وأمنَ البيت .

ولما كان دعاة التخريب عندنا ، ووكلاء تشويه مفاهيم المرأة المسلمة وقيمها لا ينامون ، فإنهم يقيمون لهذه المرأة في كل عام حفلًا لتخليد ذكراها ، والمقصود هو تخليد ما تدعو إليه من أفكار مسمومة تستهدف تدمير الأسرة المسلمة ، وتحطيم البيت المسلم . وآخر ما طالبت به كبيرتهم هو تدريس تاريخها في المدارس[١].

٥ ٥ ٥ ٥

---

(١) الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية ، ص / ٢٥٧ .

المبحث السابع

سيزا نبراوي

يقول الأستاذان « محمود الجوهري » و« محمد خيَّال » عن هذه المرأة :

« امرأة تلقت تربيتها في فرنسا . تجيد « اللغة الفرنسية » أكثر من « اللغة العربية » . أُشربت ثقافة الغرب ومفاهيمه الحضارية .. وَأُعِدَّتْ هناك ، وزُوِّدَتْ بعلم واسع بتشكيل الاتحادات النسائية على الأسس الاجتماعية التي كانت تقوم عليها هذه الاتحادات في دول أوربا .

وليس هناك من وصف نصف به هذه المرأة غير ما وصفت به نفسها في « مجلة حواء » عدد ٢١ / ١٢ / ١٩٥٧ ، تقول : « وعندما عدتُ من الخارج حيث عشت حتى بلغت الثامنة عشرة من عمري ، كنت متحررة متحمسة ولهذا رفضتُ لبس البرقع ، وأصررتُ على لبس القُبَّعَة ؛ وبحكم الصداقة التي كانت بين والدتي وبين المرحومة « هدى شعراوي » ، أخذت تهدئ من ثورتي ، وتقنعني بأن الظروف غير مواتية للحصول على حقوق المرأة مرة واحدة ، وأن المطالبة بها في هدوء يجنبنا ثورة الرجال الذين كانوا كل شيئ في ذاك الوقت » !!!

ومن هنا استحقت « سيزا نبراوي » أن تقوم بدور السكرتيرة الخاصة لـ « هدى شعراوي » ، وأن تكون في مقدمة مستشاراتها ، واستحقت أن تكون رفيقة « الزعيمة » في أسفارها ومؤتمراتها وجميع نواحي نشاطها .

لقد كان لوجود « سيزا نبراوي » مع « هدى شعراوي » في تأسيس « الاتحاد النسائي المصري » ضرورة لنجاح المشروع .. فلربما كانت فكرة

الاتحاد قد مَرَّت بخواطر نساء مصريات من قبل ، لكن الامكانات التي أعطتها « هدى شعراوي » لهذا المشروع عن طريق « سيزا نبراوي » كانت فوق قدراتهن جميعًا .

هذه هي المرأة التي قالت للفنان التشكيلي « مصطفى نجيب » عندما طلب يدها للزواج : « إنها لا تستطيع أن ترتبط بحياة يكون من حق أحد طرفيها ـ فقط ـ التخلي عن التزامه فيها بالطلاق في أي وقت يشاء » ..

واقترح العريس أن تكون العصمة في يدها ، وتم الزواج الذي دام أربع سنوات فقط .. ومن يومها لم تكرر التجربة مرة أخرى .. وعاشت ـ كما تقول ـ : لابنتها ، وللحركة النسائية ، وذكرياتها مع « هدى شعراوي » .. اهـ[1] .

هذه المرأة هي التي أَلْقَتْ ـ مع « هدى شعراوي » حجابها ، ووطِئَتْهُ بقدمها بعد وصولها من « مؤتمر النساء الدولي » الذي عُقِدَ في « روما » . فماذا تتصور أن تعملَ له ، أو تدعوَ إليه هذه المستغربة التي انسلخت عن أحكام ربها ، وقيم دينها ؟!!!

○ ○ ○ ○

---

(١) الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية ، ص / ٢٥٨ ـ ٢٥٩ .

المبحث الثامن

درية شفيق

نشأت هذه المرأة نشأة غامضة ، فقد انتسبت للجامعة في مستهل عهدها بقبول الفتيات طالبات فيها إلى جانب الفتيان ، حيث استطاع « لطفي السيد » أن يتحدى الرأي الإسلامي . ومن خلال هذا التحدي الجامعي كانت المرأة ـ وهي طالبة ـ تبالغ في إبراز فتنتها وجمالها ، حتى لقد كان يتألم من مظهرها الأساتذة والطلاب . ومع ذلك فقد واصلت دراستها حتى تخرجت ، ثم سافرت ـ وحدها بالطبع ـ إلى فرنسا للحصول على درجة الدكتوراه ، التي كان موضوعها مرتبطًا بما تعلقه على نفسها من المساهمة في سبيله في مستقبل أيامها ..

لقد كان موضوعها يتعلق بموقف الإسلام من المرأة ..

وبالطبع موقف الإسلام الذي تفهم حضرتها من سماحته ما لا يتعارض مع فسوق أو فجور ..

ومن خلال رحلتها تزوجت بمصري معروف يرأس تحرير إحدى الجرائد الكبرى ، وكان هو الآخر طالبًا هناك حينذاك ، إلا أنَّ الزواج لم يطل أكثر من شهر لأسباب غير معلومة .

وعادت إلى مصر فاجتهدت في أن تدرس بالجامعة ، ولكن الجامعة وقفت دون رغبتها لأنه كان في الغالب فرق بين قبول أمثالها طالبة ، وبين قبولها كمدرسة للجيل .. أيًا كان هذا الجيل ..

وهنا بدأ الغموض يزداد في حياتها .. فمن شقة متواضعة ، إلى شقة مترفة ، وأثاث ، ورياش ، إلى ظهور في المجتمعات والحفلات ، إلى رحلات

متعددة بين مصر وأوربا ، وفي خلال بضع سنوات تزوجت من أحد مدرسي الجامعة الشبان الذين ما لبثوا أن صاروا من أساتذة الجيل [(١)].

إن للاستعمار أفانين وألاعيب ، والحركة المصرية النسائية في ظل مجتمع مسلم تحتاج إلى حبكة درامية مثيرة تعطي آثارها المطلوبة ، وتحقق أهدافها في أقصر الأوقات .. فلابُدَّ من شخصية تقوم بدور المنافسة في لعبة العملاء في مجال المرأة ..

ـ « هدى شعراوي » تقوم بتشكيل « الاتحاد النسائي » وتتبنى أسلوب التدرج في الخطوات .

ـ وثانية ، تقوم بتشكيل « الحزب النسائي » وتقوم بالتجديد في وسائل الإغراء والإفساد .

ـ وثالثة ، تشكل حزب « بنت النيل » ، وتقوم بدور المتشدد المغامر في استنقاذ المرأة من الرجل ، واسترداد الحقوق المهضومة !!

فمن هي هذه الشخصية التي تستطيع القيام بهذا الدور ؟ ليس غير « درية شفيق » ففي سنة « ١٩٤٩ » م أنشأت « حزب بنت النيل » ، وبعد أشهر من تكوين الحزب سافرت إلى إنجلترا التي كان لها في هذا الوقت (٨٠) ألف جندي يحتلون أرض الوطن ؛ وهناك قوبلت مقابلة رؤساء الدول وزعمائها ، ورحبت بها الصحف البريطانية ، وسلَّطَتْ عليها الأضواء ، ونشرت لها أحاديث عديدة تبرزها في صورة المناضلة والزعيمة الأولى في مصر لتحرير المرأة من قيود الإسلام !!

قيود الحجاب ، والطلاق ، وتعدد الزوجات !!

(١) الحركات النسائية في الشرق وصلتها بالاستعمار والصهيونية العالمية ص / ٢٩ ـ ٣٠ .

يقول مراسل جريدة « ذي سكتشمان » في تقديمه لأحد أحاديثها : « إن الأهداف المباشرة لـ « حزب بنت النيل » ، هي كما أوضحتها الدكتورة « درية شفيق » :

ـ منح المرأة حق الاقتراع ، وحق دخول البرلمان .

ـ والمطمح الثاني الذي تهدف الدكتورة لتحقيقه هو : إلغاء تعدد الزوجات ، وإدخال قوانين الطلاق الأوربية في مصر » .

وتقول : « إن الطلاق في مصر بوضعه الحالي أمر يسير جدًا ، فالزوج المسلم له الحق في أن يطلق زوجته بمجرد قوله : أنت طالق .

أما فيما يتعلق بتعدد الزوجات فإنه لا يزال شائعًا بين الطبقات الفقيرة » .

وفي أعقاب قيام الحزب فوجئ المراقبون بظهور الثراء على هذه المرأة وحزبها ، كما طلعت على الناس بثلاث مجلات تطبع في حجم كبير ، وعلى ورق فاخر ، اثنتان منها باللغة العربية ، والثالثة باللغة الفرنسية ، عدا المطابع والسيارات الفخمة .. وبالتقصي عن مصدر هذه الموارد ، اكتشف من أسباب استقالة إحدى عضوات هذا الحزب ، أن السفارة الإنجليزية والسفارة الأمريكية تمدان الحزب بألفين من الجنيهات سنويًا ، بخلاف الورق المصقول ، وغيره ، فضلًا عن المشورة والتوجيه .

هذا وتجيء منطلقات هذه المرأة المشبوهة بتحريض استعماري ، ومن خلال المؤسسات الاستعمارية . ففي سنة ١٩٥٠ انطلقت بمظاهرة من « قاعة إيوارت » بالجامعة الأمريكية ذات التاريخ العريق في التبشير ، قوامها بضع عشرات من الفتيات المتفرنجات الكاسيات العاريات ، وبعض الشبان من أصدقاء الحزب !! متجهة نحو البرلمان بهتافات تطالب بالحقوق

المهضومة !! وعلى إثر هذه المظاهرة أبرقت إليها « جمعية سان جيمس » الإنجليزية ، تهنئها على اتجاهها الجديد نحو المظاهرات ، وتعلن تأييدها لها حتى تنال المرأة المصرية على يديها الحقوق السياسية تحت قبة البرلمان ، وفوق كراسي الوزارة .. وكيف لا تؤيدها هذه الجمعية وهي تقوم بخدمة المستعمر الإنجليزي في إشغال الرأي العام عن قضية الاستقلال !!

على أنه قد أثبتت الحوادث فوق ذلك أن هذه الحركة النسائية المصرية لم يقف تواطؤها مع الاستعمار الغربي عند حد تثبيته في مصر والشرق فحسب بل إننا لا نغالي إذا قلنا عنها : إنها كانت تُسَخَّرُ لتثبيت دولة إسرائيل المزعومة ، لتظل شوكة قوية في ظهر الدول العربية والإسلامية .

وقد اتضح ذلك بجلاء حين اشتركت المندوبة المصرية في « المؤتمر النسائي الدولي » الذي أقيم في « استوكهولم » ، وجاء من ضمن قراراته الاستعمارية قرار يقضي بمطالبة وزير داخلية السويد بإنزال أشد العقوبات على مسيو « أنيرابر » الصحفي السويدي المعروف ، لمواصلته أعمال الدعاية ضد الصهيونيين في السويد .

وقد كتب مسيو « أنيرابر » على أثر ذلك إلى الجامعة العربية ، والحكومة المصرية ، يستنكر موقف مندوبات مصر في ذلك المؤتمر ، لموافقتهن على هذا القرار ..

هذه هي « درية شفيق » التي قامت بدور المغامر في الحركة المزعومة التي اتخذت في حياتها الطابع الدرامي المثير ، وانتهت دراميا حيث ماتت في حادث أليم[١] .

---

(١) الأخوات المسلمات ص / ٢٦٠ ـ ٢٦٤ . وانظر : الحركات النسائية في الشرق وصلتها بالاستعمار والصهيونية ص / ٢٩ ـ ٥٠ لترى مواقفها المخزية ، وعمالتها المكشوفة .

وهناك مثيلات لمن تقدم كـ « سهير القلماوي » ، و« أمينة السعيد » تلميذَتَيْ المستغرب المأفون ، وعميد الأدب المزعوم : « طه حسين » ، الذي وصل به الافتتان بالغرب إلى سلخ « مصر » من عالَمِنَا الإسلامي ، رغم اعتناقها الإسلام منذ أربعة عشر قرنًا ، فقال : « إن من السُّخف الذي ليس بعده سُخف ، اعتبار مصر جزءً من الشرق ، واعتبار العقلية المصرية عقلية شرقية »[١] اهـ .

ودعا إلى أن « نسير سيرة الأوربيين ، ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادًا ولنكون لهم شركاء في الحضارة ، خيرها وشرها (!!!) حلوها ومرها (!!!) وما يُحَبُّ منها وما يُكْرَه ، وما يُحمَدُ منها وما يُعاب ... وأن نُشعرَ الأوربي بأننا نرىٰ الأشياء كما يراها ، ونقوِّمُ الأشياء ، ونحكم على الأشياء كما يحكم عليها »[٢] اهـ .

كما أن هناك أُخريات وأُخريات من أمثال : « سعاد صبري » والماركسية المتحللة : « نوال السعداوي » و« فاطمة السعيد » و« مي شاهين » و« سميحة طاهر » وغيرهن كثير ممن تأثرن بعادات الغربيين وأخلاقهم ، وظهرت فيهن بصماتهم الفكرية التربوية ، فعملن على نقل ذلك إلى نساء المسلمين عن طريق المحاضرات ، والندوات ، والمقالات ، والمجلات .. ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر : ٤٣] .

---

(١) و (٢) مستقبل الثقافة في مصر (ص / ٤١) . وانظر لمحة خاطفة عن بعض أفكاره في (ص / ٤٩٨ - ٤٩٩) من هذا الكتاب .

المبحث التاسع

أمينة السعيد

١٩١٤ _ ١٩٩٥ م

في أسرة ميسورة الحال من « المنصورة » ، ولدت « أمينة السعيد » بـ « أسيوط » عام (١٩١٤) م ، حيث كان والدها « أحمد السعيد » يعمل طبيبًا في هذه البلدة ، إلى أن عاد إلى « القاهرة » ليُلحق أبناءه بالمدارس الأجنبية ، لأنه كان مُحِبًا للحضارة الأوربية .

وقد التحقت « أمينة » في طفولتها بـ « مدرسة الحلمية للبنات » ، فكانت في غاية التمرد والشقاوة ، حتى إنها رسبت في جميع مواد السنة الدراسية الأولىٰ ، لأن وقتها كان للهو واللعب .

وتروي « مجلة حواء » على لسان « أمينة السعيد » أحد مواقفها في طفولتها الشقية ، فتقول :« أغضبني مرة أحد المدرسين في الفصل ، فشعرتُ بالظلم الفادح الذي وقع عليَّ ، فكان تركيزي طوال وقت الحصة في كيفية الانتقام منه ، وردِّ هذا الظلم . وعندما انتهىٰ وقت الحصة ، وغادر المدرِّسُ الفصل متوجهًا لحجرته ، لاحَقْتُهُ وضربتُه بقبضة يدي الصغيرة في ظهره .. ثم أطلقتُ قدميَّ للريح خوفًا منه »[١].

وبعد إتمامها للمرحلة الثانوية ، كانت ضمن أول دفعة من الفتيات ينتسبنَ إلى « كلية الآداب » التي كان عميدها المستغرب : « طه حسين » ، فاختارت « قسم اللغة الإنجليزية » ، واستمرت فيه حتى تخرجها .

وبعد تخرجها في الجامعة أصبحت من هُواة « الأدب الإنجليزي » ،

(١) انظر : مجلة « حواء » ، العدد (٢٠٣٠) ، تاريخ ١٩ آب - أغسطس ١٩٩٥ م .

حتى - إنها في إحدىٰ مراحل حياتها - أَلَّفتْ كتابًا عن الشاعر الإنجليزي « بيرون » ، وتزوجت في عام (١٩٣٧) م من الدكتور « عبد اللّٰه زين العابدين » ، الذي شجعها على العمل في الصحافة ، ووقف إلى جانبها في جميع الأزمَات والمحن التي نزلت بها من جراء ذلك .

وحين كان الصحفي « مصطفى أمين » نائبًا لرئيس تحرير مجلة « آخر ساعة » ، عرض عليها أن تعمل معه في المجلة ، فقَبِلتْ بذلك على أن تخفي اسمها حتى لايعرف أبوها وأمها أنها تعمل في الصحافة ، وهو عمل غير مستساغ في المجتمع آنذاك . لكنهما علما بذلك فيما بعد .

ثم انتقلت إلى مؤسسة صحفية متخصصة بنشر السموم ضد الإسلام ودعاته ، تدعىٰ : « دار الهلال » ، التي أسسها الصليبي الهالك : « جورجي زيدان » « ١٢٨٧ - ١٣٣٢ هـ = ١٨٦١ - ١٩١٤ م » ، الذي وقف حياته على تشويه التاريخ الإسلامي ، وخلفائه الميامين ، بأكاذيب صاغ بها قصصه المتعددة ، التي كتبها بدافع من الحقد الدفين على الإسلام والمسلمين . ومن « دارالهلال » بدأت « أمينة » تكتب عن شؤون المرأة في مجلة « المصور » ، ومجلة « الإثنين » من وجهة نظر المستغربين ، فلفتت نظر « أميل زيدان » أحد صاحبي « الهلال » ، فاختارها « رئيسة تحرير » لإصدار مجلةٍ نسائيةٍ شهرية باسم : « حواء » . وصدر العدد الأول منها في أول كانون الثاني - يناير عام (١٩٥٤) م .

ومن خلال هذه المجلة انطلقت « أمينة السعيد » تكتب عن المرأة ، وتطالب بما تعتبره حقوقًا لها .

وفي عام (١٩٦٢) م اختيرت عضوًا في مجلس إدارة « دار الهلال » ،

فكانت بذلك أول امرأة مصرية تُعيَّنُ في مجلس إدارة مؤسسة صحفية .

ثم عينها « أنور السادات » رئيسة لمجلس الإدارة ، واستمرت في هذا المنصب إلى أن أقالها « السادات » نفسه منه ، ومن رئاسة تحرير مجلة « المصور » .

☆☆☆☆

كانت « أمينة السعيد » تلميذةً للمستغرب المأفون ، وعميد الأدب المزعوم : « طه حسين » ، فتأثرت به أشد التأثر ، وترك فيها من بصمات التغريب ، ونوازع التقليد ، والافتتان بحضارة الغرب ، ما سترىٰ أثره في مقالاتها التي كانت تنشرها .

ولا شك أن نشأتها في أحضان أبٍ غير ملتزم ، حريصٍ على تعليم أبنائه في المدارس الأجنبية ، وتشجيعِه إياها على لعب « التنس » بملعب « جامعة القاهرة » مع المدرّب ، إضافة إلى تشكيل عقلها على يد أستاذها « طه حسين » ، وترددها على « هدى شعراوي » وتأثرها بها ، ثم استعدادها الخاص لذلك ، كل ذلك قد صاغها صياغة « متحررة » ، جعلتْها متمردة على أحكام الإسلام ، وقيمه العليا[1].

---

(١) لمعرفة الآثار السيئة التي تركها « طه حسين » في هذا الجيل ، نسوق لك بعض أقواله ، لتحكم بنفسك : هل يجوز لأمة مسلمة تحترم نفسها أن تقبل نِسبتَهُ إليها بعد أن وصل به الافتتان بالغرب إلى سلخ « مصر » من عالمنا الإسلامي ، رغم اعتناقها الإسلام منذ أربعة عشر قرنًا ، فقد قال : « إن من السُّخف الذي ليس بعده سُخف اعتبارَ « مصر » جزءًا من الشرق ، واعتبارَ العقلية المصرية عقلية شرقية » ..

ودعا إلى أن « نسير سيرة الأوربيين ، ونسلك طريقهم ، لنكون لهم أندادًا ، ولنكون لهم شركاء في الحضارة ، خيرها وشرها (!!!) حلوها ومرها (!!!) وما يُحَبُّ منها وما يُكرَه =

. . . .

= (!!!) وما يُحمَدُ منها وما يُعاب (!!!) ... وأن نُشعرَ الأوربي بأننا نرىٰ الأشياء ، ونحكم على الأشياء كما يحكم عليها » (!!!) . انظر ذلك في كتابه : « مستقبل الثقافة في مصر » (ص / ٤١) . وقال : « ... ولا ينبغي أن يفهم المصري أن الكلمة التي قالها « إسماعيل » ، وجعل بها « مصر » جزءًا من أوربا قد كانت فنًا من فنون التمدُّح ، أو لونًا من ألوان المفاخرة ، وإنما كانت « مصر » دائمًا جزءًا من « أوربا » في كل ما يتصل بالحياة العقلية والثقافية ، على اختلاف فروعها وألوانها » . انظر : « مستقبل الثقافة في مصر » (ص / ٣٥ - ٣٦) . لهذه المخازي وغيرها ، وصَفَهُ معاصره ، وفاضح أباطيله ، وكاشف أحابيله ، أديب العربية الكبير ، والجاحظ الثاني القدير « مصطفى صادق الرافعي » بأنه : « دائبٌ في إزالة ما وَقرَ في نفوس المسلمين من تعظيم نبيهم وكتابهم ، وإيثار دينهم وفضيلتهم ، وإجلال علمائهم وسلفهم مرةً بالتكذيب ، ومرةً بالتهكم ، ومرةً بالزِّراية ، ومرةً بإفساد التاريخ ، ومرةً بنقل الأخلاق الفاحشة المتعهرة من حضارة الفرنسيين ، وهلمَّ جرًا ، حتى كأنه شيطانٌ عاقَبَهُ اللّه فطمرَهُ في جلد إنسان » . اهـ من كتاب للرافعي بعنوان : « تحت راية القرآن » (ص / ٢٠١) الطبعة الأولى ، واصحبه فإنه خليق بذلك ، تَرَ من خلاله حقيقة هذا العميد المزعوم ..

وقد تبنَّىٰ « طه حسين » منهج الفيلسوف الفرنسي « ديكارت » في البحث عن حقائق الأشياء فانتهىٰ به إلى الشك في حقيقة سيدنا « إبراهيم » وسيدنا « إسماعيل » عليهما الصلاة والسلام وسطَّر ذلك الشك في كتابه : « في الشعر الجاهلي » ، الذي نشره عام (١٩٢٦) م ؛ كما اعتبر تأسيس هذين النبيَّيْن للكعبة المشرفة أسطورة من الأساطير اليونانية أو الرومانية ، مُعارِضًا بذلك قول اللّه تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] . ولهذا ثارت عليه ضجة كبيرة ، وكفَّره علماء « الأزهر » ، مما دفعه - بعد ذلك - إلى تعديل بعض الفصول ، وحذفِ ما فيه إثارة ، ثم أعاد نَشرَهُ بصورة جديدة عام (١٩٣٧) م بعنوان : « في الأدب الجاهلي » .

والذي نرجحه أن « طه حسين » لم يفعل ذلك إلا من باب المصانعة ، لتمرير أزمةٍ أثارت عليه الخاص والعام . ويدل على ذلك أنه لم يعلن تراجعه عن تلك الأفكار منذ ذلك التاريخ وحتى هلاكه عام (١٩٧٣) م .

هذا هو الأستاذ الذي تأثرت به « أمينة السعيد » فمسخَ فطرتها ، وشكَّلَ عقلها ، فماذا تتخيل أن تكون بعد ذلك ؟!!!

لقد اتخذتْ « أمينة السعيد » من مجلة « حواء » منبرًا للتطاول على الأحكام الإسلامية الخاصة بقانون « الأحوال الشخصية » و « حجاب المرأة المسلمة » ؛ بل راحت كما قال الأستاذ « محمود محمد الجوهري » : « تحرضُ نساءنا على النشوز ، وفتياتنا على الانحلال . وهي التي جعلت الفسق والبغاء الرسمي في شارع الهرم نوعًا من كرم الضيافة عندنا (!!!) في ردِّها على « القذافي » ، عندما ندَّدَ بمخازي « شارع الهرم » في أحد مواقفه العنترية ، من خلال ندوة عقدت بالقاهرة ، طالبَ فيها بنظافة « شارع الهرم » ، وإغلاقِ محالِّ الدعارة السياحية ، وعُلَبِ الليل »[1].

وكتبتْ ذات يوم في مجلة « المصور » : « إنني لا أطمئن على حقوق المرأة إلا إذا تساوت مع الرجل في الميراث »[2].

فهل تعتبر هذه في عداد المسلمين ، وهي تعارض قول الله رب العالمين : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء : ١١] ؟!!

وقالت أيضًا : « كيف نخضع لفقهاء أربعة ولدوا في عصر الظلام ، ولدينا الميثاق » ؟!!![3] أي الذي أصدره « جمال عبد الناصر » ، وفيه من المخالفات لدين الله عز وجل ما فيه ..

وبعد أن امتدت يد ثورة ٢٣ تموز - يوليو ١٩٥٢ م إلى قانون « الأحوال الشخصية » بالتعديل ، رضوخًا لرغبات دعاة « تحرير المرأة » !!! راحت تطالب بتعديلات أخرىٰ ؛ وكانت تريد بذلك إصدار تشريعٍ يمنعُ « تعدد الزوجات » ، و « مساواةَ المرأة بالرجل في الميراث » ، إلىٰ غير ذلك من هذه

(١) الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية (ص / ٩٨) ، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٩ م .
(٢) ، (٣) استقيت ما بين هلالين من المصدر السابق (ص / ١٠١) .

المخالفات الصريحة لشريعة الله عز وجل ..

☆☆☆☆

أما موقفها من « الحجاب الإسلامي » ، وكذا « المحجبات » فقد بلغ الغاية في الوقاحة ، والنهاية في الصفاقة ، حيث وصفتِ المرأةَ المحجبة بأنها « ثعلب » ترتدي ثياب « الناسكين » ..

ثم قالت : « وما نراه اليوم شائعًا بين الفتيات والسيدات مما يسمُّونه « الزيّ الإسلامي » فالإسلام منه براء ، لأنه تقليد حَرْفيّ لِزيّ الراهبات المسيحيات »[1].

وتقول أيضًا : « هل من الإسلام أن ترتدي البنات في الجامعة ملابس تغطيهن تمامًا ، وتجعلهن كالعفاريت (!!!) وهل لابدَّ من تكفين البنات بالملابس وهنَّ على قيد الحياة ، حتى لايُرىٰ منها شيءٌ وهي تسير في الشارع » (؟ !!!)[2].

وقالت : « إن هذه الثياب الممجوجة قشرة سطحية لا تكفي وحدها لفتح أبواب الجنة ، أو اكتساب رضا الله . فتيات يخرجن إلى الشارع والجامعات بملابس قبيحة المنظر ، يزعمْنَ أنها « زِيٌّ إسلامي » ، لم أجد ما يعطيني مبررًا منطقيًا معقولًا لالتجاء فتيات على قدر مذكور من التعليم إلى لفِّ أجسادهنَّ من الرأس إلى القدمين ، بزِيٍّ هو والكفن سواء » اهـ[3] .

مَنْ « أمينةُ السعيد » هذه حتى تُقدَّمَ لها المبررات حول حجاب

---

(١) انظر مقالًا لها بعنوان : « هذه دعاوىٰ غير إسلامية » في مجلة « حواء » .

(٢) مجلة « حواء » تاريخ ١٨ تشرين الثاني – نوفمبر عام ١٩٧٢ م .

(٣) مجلة « المصور » ، تاريخ ٢٢ كانون ثاني – يناير عام ١٩٨٢ م ، (ص / ٧٥) .

المسلمات ؟!!!

وهل تخطر على بال مؤمنة فتعبأ بها وهي تقرأ قول اللَّه تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ ؟!!! [الأحزاب : ٥٩]

وهل تملك « أمينةُ » هذه ذوقًا إسلاميًا تعرف به جميل الثياب من ممجوجها ، وحسنَها من قبيحها ؟!!!

ويدل على فساد ذوقها : استحسانها للملابس الغربية التي تبدي ما أمر اللَّه بستره ، وخروجها بها سافرة ، لايردعها دين ، ولا يمنعها حياء ..

فمن هذه إذن حتى تقول : « لم أجد ما يعطيني مبررًا منطقيًا معقولًا ... » ؟!!

لقد تذكرتُ وأنا أقرأ كلمتها هذه قول الشاعر :

يقولون هذا عندنا غير جائزٍ ومَنْ أَنتُمْ حتى يكون لكمْ عِندُ

لقد قال اللَّه ـ ونِعْمَ ما قال ـ . وَلْيخْرَسْ أولئك الذين « يَلْوُون ألسنتهم » ليردوا على اللَّه قولَه ، ويعارضوا حكمه ، وليس ذلك سبيل المؤمنين ؛ لأن اللَّه تعالى قال : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

وقالت أيضًا : « عجبتُ لفتيات مثقفات كيف يَلبَسْنَ أكفان الموتىٰ وهنَّ على قيد الحياة » ؟!!! اهـ (١)

---

(١) نقلًا عن كتاب « الولاء والبراء في الإسلام » (ص / ٤٠٤) . والنصوص الأربعة السابقة التي هي من كلام « أمينة السعيد » استقيناها من كتاب : « عودة الحجاب » لمحمد أحمد المقدم (١ / ١٢٦ - ١٢٨) .

وقد استبدَّتْ بها آلام نفسية نتيجة فشلها بدعوتها المتحررة بعد عودة النساء إلى اللّه ، والتزامِ الكثيرات بالحجاب ؛ بل بالنقاب ، فعبَّرتْ عن ذلك قبل موتها بأربعة أيام ، حين قالت بحسرة وألم لصحفية من مجلة « المصور » وهي تجري معها مقابلة : « أمينة السعيد كانت ملكة الصحافة النسائية . لقد أفنيتُ عمري كلَّه من أجلها . أما الآن فقد هَدَّني المرض ، وتنازلت النساء عن كثير من حقوقهن . المرأة المصرية صارت ضعيفة .. الإرهابيون وسَّخوا مخَّهم .. » . تعني بذلك : أن الإسلاميين قد أقنعوهن حتى التزمن بالإسلام . فالإسلاميون في نظرها : إرهابيون ، وقيامهم بإقناع النساء بالالتزام بالحجاب « توسيخ » لعقولهن . ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف : ٥] .

اللهم جنِّبنا الردىٰ ، واكفِنا شرَّ العِدا ، ولا تُضِلَّنا بعد الهدىٰ .

وحين سألَتْها الصحفية عن رُؤيتها للحركة النسائية ، أجابت : « هبطت كثيرًا ، بل انتهت .. لم تَعُدْ لدينا حركة نسائية » .

وتفسر عودة المرأة المسلمة إلى دينها وحجابها تفسيرًا غريبًا ﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ [فاطر : ٤٣] فتقول : « السيدات ملأهنَّ الرُّعب من الإرهابيين والمتطرفين ، وَصَمتْنَ عن حقوقهنَّ التي تُسحبُ منهن ، وارتضَينَ آراء بعض المتخلفين الذين يتمسحون في الدين ورجال الإرهاب ، وكلاهما من أغبىٰ الناس . **وضاعت الجهود التي بذلتها « هدىٰ شعراوي » ثم جهودنا نحن طوال خمسين عامًا ، وعاد الحجاب ثانية » ..** [١] .

---

(١) انظر : مجلة « المصور » العدد (٣٦٩٧) ، تاريخ ٢٢ ربيع الأول ١٤١٦ هـ ، الموافق ١٨ أغسطس ـ آب عام ١٩٩٥ م .

نعم لقد ضاعت الجهود التي بذلها جيل التغريب من بيغاوات الرجال والنساء ولا عجب ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَاطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد : ١٧] .

أما المرأة المسلمة فقد عادت إلى دينها والتزمتْ بحجابها ، رغم جهود المستغربين لإفسادها ، ﴿ كَذَلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ﴾ [البقرة : ١٦٧] ، ﴿ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران : ١٥٦] .

ويحق لنا أن نقول في هذا المقام لأولئك المتحسرين على ضياع جهودهم ، الساخطين على التزام الناس بدينهم ، ما قاله اللَّهُ تعالى في الحاقدين من أمثالهم : ﴿ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران : ١١٩]

☆☆☆☆

تلك هي « أمينة السعيد » التي ظلتْ وفية لسياسة التغريب ، وسَدَنةِ « تحرير المرأة » من الفضيلة ، واستمرت في رفعِ ذلك اللواء ـ من خلال مؤسسة صحفية أسسها حفيد الصليبيين ، ودعمها كبار الشيوعيين ، وعمل فيها كثير من العلمانيين ـ ، وبقيت حتى الرمقِ الأخير على هذا ، إلى أن ماتت في الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والأربعين من مساء يوم الأحد ، الثالث عشر من آب ـ أغسطس عام ١٩٩٥ م ، وقلبها يعتصر أسًى لضياع جهودها ، وجهود من سبقها سُدًى ؛ لأن المرأة المسلمة عادت إلى حجابها .

لقد هلكت ـ وليس في الموت شماتة ـ وهي تعاني من « سرطان » تمكن من فمها ، حتى كان يُبكيها رغم تجلدها ، ويذيقها مرارة اليأس رغم تَصَبُّرِهَا .

نعم .. أصيبت بالسرطان في فمها الذي كثيرًا ما عابت به عديدًا من الفضائل ، ونالت به كثيرًا من الحرائر ، وتطاولتْ على أهل العلم ، وروّاد الفكر وشباب الصحوة الإسلامية ونسائها .. ومرة أخرىٰ : اللهم لا شماتة ، فليس في الموت شماتة ، لكنَّ موتَها بسرطان الفم عبرة لمن يعتبر ، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴾ [النازعات : ٢٦] ، وذكرىٰ لكل مُدَّكر ، ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾ [المدثر : ٣١] . ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق : ٣٧] .

غير أَنَّ الآلامَ النفسيةَ التي كانت تعاني منها ، كانت أشدَّ عليها من آلام « السرطان » التي ما انفكَّتْ عنها .. إنها آلام الإحباط والفشل في دعوتها ، بسبب عودة المرأة المسلمة إلى ربها ، والتزامها بحجابها .. آلامٌ خَلَّفتْها هزيمةُ دعوةٍ : « تحرير المرأة » ، وهزيمةُ دعاتها : من أساتذة الهبوط ، وروّاد السقوط ، أمامَ زحفِ الصحوة الإسلامية الهادر ، الذي استعصىٰ على دعاة التغريب .. تلك الصحوة التي عمَّتْ شباب الأمة وفتياتها ، فلجأ هؤلاء إلى « اللَّه » ، وعادوا إلى « الإسلام » بعد أن رأوا فشل « الأيديولوجيات » وفساد النظريات الوافدة إلينا من الشرق والغرب .

أما الشباب المسلم الذي نَعَتَتْهُ بالإرهاب فقد عَمَرُوا بيوت اللَّه ، وأَوَوْا إلى « رُكنٍ شديد » ، ولن يلتفتوا إليها أصابت أم أخطأت ، أساءت أم أحسنت .

وأما الفتيات اللاتي وصَفَتْهُنَّ بالعفاريت فقد التزمن بالحجاب الإسلامي ، رغم ما أجلبتْ ورواةُ الفساد عليهن بخيلهم وَرَجِلِهم ، وما مارسْتهُ ضدهن من « إرهاب فكري » ، فاعتصمن بحبل اللَّه ، فانتشر

« النقاب » ، وعمَّ « الحجاب » في كثير من أرجاء عالمنا الإسلامي ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ * هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٢ - ٣٣] .

لقد رحلت « أمينة السعيد » عن هذه الدنيا ، وستجد كلَّ ما فعلته فيها في كتابٍ لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . ﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا * وَوُضِعَ ٱلْكِتَابُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٤٨ - ٤٩] .

ومن موافقات القدر ، أنني كنتُ أتهيأ للكتابة عن دورها في إفساد المرأة فهتفتُ في يوم موتها ـ وأنا لا أعلم به ـ لأحد الإخوة في « مصر » ليوافيني بما يحتفظ به من مقالاتها ، لتكون شواهد صدق على ما أكتبه عنها ، فأرسل إليَّ شيئًا منها ، ثم أعلمني لاحقًا أنها هلكت في اليوم الذي طلبتُ فيه كتاباتها ، ولم يكن لواحد منا علمٌ بهلاكها .. فسبحان من قهر عباده بالموت .. وهو على كل شيءٍ قدير .

○ ○ ○ ○

المبحث العاشر

نوال السعداوي

في قرية من قرىٰ مصر تدعىٰ « كفر طلخا » ولدت « نوال السعداوي » عام ١٩٣١ م ، لأب يدعى : « سيد السعداوي » وأم تدعى « زينب » فكانت واحدة من أسرة تتكون من أبوين ، وست بنات ، وثلاثة أولاد .

وقد نشأت في ظل أبٍ ترك لها مجالًا واسعًا تفكر وتُعبِّر ، وتتأمل وتُخبِّر ، وتقرأ وتُفسِّر !!! وكل ذلك حسب ما ترى وتُقَدِّر . فوالدها ـ كما تزعم ـ كان يقول لبناته : « إياكنَّ أن تتركنَ رجلًا يُفسِّر لكنَّ القرآن ، فَسِّرْن أنتنَّ بطريقتكنَّ . ولو أنَّ آية لم تَطِب لكنّ توقفنَ عن الاهتمام بها »[١] .

وتركت هذه النشأة لديها اعتدادًا كبيرًا بنفسها ، وثقة عظيمة بفهمها ، بحيث تأخذ ما يعجبها ، وتدَعُ ما لا يروق لها حتى ولو كان ذلك من القرآن الكريم . أليس والدها ـ كما تزعم ـ هو الذي ربَّاها على ذلك ؟!!!

ولهذا كانت تقول : « أنا فهمتُ الإسلام بشكل صحيح ، وفهِمَ والدي أيضًا الإسلام بشكل صحيح ، وهذا هو السبب في أنني أصبحت الآن « نوال السعداوي » . وقد تَابَعَتْ تعليمها حتى أصبحت طبيبة نفسية ، فزادها ذلك اعتدادًا بنفسها ، وجرأة في آرائها ، حتى إنها كانت تناقش والدها في كل ما تقرأ ، مما أكسبها جرأة في المناقشة ، فلا تقبل أي فكرة بسهولة »[٢] .

---

(١) مجلة « ماري كلير » الفرنسية الشهرية ، عدد نيسان / إبريل / ١٩٩١ م الذي لخصته صحيفة « المسلمون » الدولية في عددها الصادر بتاريخ ١٩ / ٤ / ١٩٩٢ كما في كتاب : « المواجهة . د . نوال السعداوي في قفص الاتهام » (ص / ٣٠) .

(٢) انظر : مجلة « سيدتي » السعودية ، العدد الصادر في ٢٨ / ١١ / ١٩٨٢ م .

وتحكي عن تعامل والدها معها ، فتقول : « لم يسألني والدي يومًا : مع مَن تكلمتِ ؟ ولم يحاول أن يفتح لي خطابًا ، ولم يحاول التدخل في شأن من شؤون حياتي الخاصة »[١] .

وتصِرُّ على وصف نفسها بـ « التقدمية » وإن كانت قد تنازلت عن ألقاب مصاحبة أخرىٰ « كالاشتراكية » و « الثورية » ، لاسيما بعد الكساد العالمي للمنتجات اليسارية ومشتقاتها .

ومن إنجازاتها الساطعة التقدمية طلاقُها من ستة أزواج ، لكنها سعيدة بزوجها الأخير ، لأنه ـ كما تقول ـ « متحرر » ، ويقضي وقته في المطبخ لإعداد الطعام وهي مرتاحة في غرفة الجلوس[٢] .

تأثرتْ « نوال » إلى حدٍّ كبير بالحركة النسائية ، فشبَّتْ متحررة ، وشابتْ متمردة ، حتى غَدَتْ من أشهر داعيات العالم العربي إلىٰ ما يُطلَقُ عليه « تحرير المرأة » .

تحدثتْ عن أعمالها بعضُ برامج الإذاعة والتلفزيون في عديد من الدول ، لتصنع منها البطل الذي يعمل على تخليص المرأة من العَسْف والجور الذي فُرِضَ عليها ـ كما يزعم التحرريون ـ عن طريق الحجاب وغيره .

وقد حَفَزَها ذلك إلى تأسيس جمعية « تضامن المرأة العربية » عام ١٩٨٢ م فَرأَسَتْ مجلس إدارتها ، واتخذت من القاهرة مقرًا دائمًا لها ، ثم أصدرتْ باسم الجمعية مجلة « نون » ، هاجمت فيها كثيرًا من أحكام الإسلام المتعلقة بالمرأة ، فردَّ عليها كثير من العلماء والدعاة والكتاب في مقالات يصححون

(١) المواجهة . د . نوال السعداوي في قفص الاتهام (ص / ١٠٩) .

(٢) انظر : « مجلة الأسرة » عدد محرم ١٤١٦ هـ ـ حزيران ـ يونيو ١٩٩٥ م (ص / ٥١) .

فيها أخطاءها ، ويكشفون زَيف دعوتها ، فما زادها ذلك إلا طغيانًا واستكبارا فأصدر نائب محافظ القاهرة قرارًا يقضي بِحَلِّ جمعيتها ، وتحويل أموالها إلى : « جمعية نساء الإسلام » . وأيَّدتْ محكمة القضاء الإداري حلَّ الجمعية ، وقضتْ برفض الطلب الذي تقدمت به « نوال » لإيقاف تنفيذ القرار .

وقد استندت المحكمة في رفضها إلى أنَّ « جمعية تضامن المرأة العربية » دَأَبتْ على مهاجمة الإسلام ، ونشر معتقدات مخالفة لأحكامه . وأصدرت مجلة « نون » شنَّتْ من خلالها حملة ضد تعدد الزوجات ، وزعمتْ أَنَّ ذلك يهين المرأة . إضافة إلى علاقات أقامتها الجمعية مع بعض هيئات ومنظمات أجنبية ، وفتحت أرصدة خاصة بها من حساب الجمعية[1].

وعملتْ « نوال » على نشر دعوتها ، فكتبتْ كتبًا عديدة صاغتْ بعضها بأسلوب روائي ، مما جعل أصحاب مدرسة التحرر يصفونها بالأديبة الروائية - رغم افتقار رواياتها إلى العناصر الأدبية للرواية - وهذا ما حدا بالأستاذة « ليلى الحر » أن تقول : « لم أعتبر يومًا أنَّ الدكتورة « نوال السعداوي » أديبة ، ولا قَدَّمتها يومًا عبر رحلتي الطويلة في الصحافة كقاصَّة أو كروائية بالرغم من عشرات الكتب التي أصدرتها والتي حملتْ هذا التعريف . فنوال السعداوي باحثة اجتماعية ، وداعية لتحرر المرأة ، تستعمل الصوت والصورة ، والقلم والخطاب ، والمنبر والجريدة ، وكرسي الجامعة ، والندوة السياسية ، ومعارضة الحكام ، ومساندة المحكومين ، والجمعيات النسائية والرجالية ، ومنابر الأمم المتحدة ، وكل الأبواق التي تتيسر أمامها

(١) انظر : « جريدة النور » المصرية ، تاريخ ١٥ / ٧ / ١٩٩١ م ، مقال : « نوال السعداوي تظهر من جديد » .

لإيصال القضية التي تدافع عنها إلى أوسع شريحة من الجماهير »[1].

وحين ناقشت الأستاذة « ليلىٰ » الكتابَ الذي أصدرته « نوال » تحت عنوان : « جنات وإبليس » قالت : « موضوعي : هو كتابها الأخير « جنات وإبليس » المقدم للقارئ كرواية تَصَفَّحتُهُ بعناية ، وقرأتُ مقطعًا هنا وصفحةً هناك ، ثم عدتُ وقد امتلأتُ بفضولٍ غريب شيطاني على الأرجح لقراءةِ المائة وثمانين صفحة من القطع الوسط بجلسة واحدة ، وأنا أُفتش بإصرار عما دعا الدكتور « سهيل أديب » - الناشر - لإطلاق تسمية رواية على هذا الفيض من غَيضِ الهذيان الصوري ، المصحوبِ بهلوساتٍ لا هي بالشعائر ولا بالشعارات ، ولا هي مرتبطة بأي فنٍ من فنون السرد الكتابية المعروفة الأخرىٰ ...

ثم قالت : سأسمح لنفسي بالقول وعلى طريقة « يوسف وهبي » المسرحية : ياللّهَول !!! ذلك أن الكتاب من أوله إلى آخره تكرارات لفظية على لسان ثلاث أو أربع شخصيات ، ليس فيها من ملامح شخوص الروايات العادية إلا الاسم والصوت والشعارات والأفكار الجاهزة .

والأكثر مَدْعاةً للاستهجان هو إلباسُ البطلات والأبطال أقنعة التورية والرمز ، في الوقت الذي يهتفون فيه هتافات ساقتها الكاتبة في غالبية كتبها وبأكثر الطرق صراحة وفجاجة ...

وبعد : فـ « جنات وإبليس » ليست روايةً ، ولا عملًا أدبيًا ، ولا فنًا كتابيًا .. إنه بكل بساطة هتافات ركيكة مكررة قديمة ، ما عادت اليوم

---

(١) صحيفة « الوطن » الكويتية ، تاريخ ٨ / ٣ / ١٩٩٢ م .

مفهومة أو مستساغة »[١] اهـ باختصار .

ذلك نموذج من كتبها التي يُطَبِّلُ لها ويزمر دعاة « تحرير المرأة » ، ليفسدوا بها الذوق الإسلامي ، ويُبلِّدُوا بفحواها الحس الإيماني ، بما تحمله من سموم وأراجيف ، ثم تُكافأُ الكاتبة بما يُغدَق عليها من ألقاب البطولة والخلود .

ولو تتبعنا كتب المذكورة ومقالاتها لوجدناها تعكسُ العقلية الغربية التي درجت عليها تلك المجتمعات المادية الغافلة عن اللّٰه .

وإليك بعض أفكارها التي أودَعَتْها كتبها ومقالاتها ، لتدرك طبيعة تفكيرها ، وتعرف ماهية الدعوة التي تدعو إليها .

لقد نشرتْ مقالًا عن « الطب النفسي » أشادت من خلاله برجال من أعمدة الإلحاد ، وصفَتْهم بعلماء كبار لتقبلهم النفوس ، وتستروح إليهم القلوب ، فقالت : « ليس من المفيد التبسيط إلى حدِّ التشويه لأفكارِ علماء كبار يعترف العالم كله بفضلهم على تقدم البشرية ، مثل : « فرويد » أو « ماركس » ، أو « إنجلز » لأسباب سياسية أو دينية »[٢] .

وليس غريبًا على د. « نوال السعداوي » أن تصرخ بأعلىٰ صوتها دفاعًا عن الباطل الذي يتمثل في أي فكر شاذ في مجتمعنا ، فإنها صاحبة تجربة رائدة في هذا المجال من خلال مقالاتها وكتبها التي تعلن فيها : أريد أن أكون « مومسًا مثل أختي » ، و « تحرير المرأة اقتصاديًا وجنسيًا » ، و « اللّٰه

---

(١) المصدر السابق ، تاريخ ٨ / ٣ / ١٩٩٢ م .

(٢) جريدة « الأهرام » الصادرة في ١٤ / ٨ / ١٩٨٨ م .

مات في النيل » الذي طَبعَتْهُ في « تل أبيب »[١].

أما عن رأيها فيما يقدمه الرجل لامرأته عند الزواج بها من مهر ، فتقول : « أنا ضد المهر ؛ لأنه يجعل الزواج مبنيًا على النفعية والبيع والشراء . إن المرأة عندنا معروضة إِمَّا في سوق الزواج ، أو في سوق الإعلانات والبضائع »[٢].

وتعترض على جعل الطلاق في يد الرجل ، وتتباكىٰ على المرأة التي ليس لها حرية الطلاق أو حرية الزواج كالرجل ، فتقول : « في الزواج لايوجد تساوٍ بين المرأة والرجل ، فالرجل يطلقها في أي وقت بدون سبب ... فالرجل يفعل ما يشاء ولا يسمح للمرأة أن تفعل شيئًا ، إذ ليس لها حرية الطلاق كالرجل ، وحرية الزواج كالرجل ... غير قوانين أخرىٰ تظلم المرأة »[٣].

وفي مقابلتها مع الصحفية الفرنسية « كاتي كاترين » هاجمت قانون الأحوال الشخصية قالت : « إن قانون الأحوال الشخصية المصري رغم بعض الإصلاحات يعطي صلاحيات كثيرة للرجل ، فهو يستطيع تطليق زوجته ، والزواج من أربع ، ونحن من جهتنا نناضل من أجل إصلاح هذا القانون »[٤].

وفي حوارها مع الصحفية « ناهد إمام النوبي » طالبت « نوال السعداوي » بانتساب الإنسان لأمه لا لأبيه ؛ لأن الأبوة ـ على حدِّ زعمها ـ مشكوك

---

(١) المواجهة . د. نوال السعداوي في قفص الاتهام (ص / ٤١) . نعوذ بالله من الكفر والفساد والوقاحة !!

(٢) المصدر السابق (ص / ٦٦) .

(٣) المواجهة . د. نوال السعداوي في قفص الاتهام (ص / ٦٦) .

(٤) مجلة « ماري كلير » الفرنسية الشهرية في عددها الصادر في نيسان – إبريل / ١٩٩١ م كما في المصدر السابق (ص / ٢٩) .

فيها ، فقالت : « أنا أطالب بتوازن القوىٰ والسلطة داخل البيت ، وأطالب أيضًا بالنسب الأمومي ، فالأبوة مشكوك فيها دائمًا .. !! إنها حالة طارئة ، والنسب الأمومي هو الأساس !!

لماذا لا يكون اسمي « نوال زينب سيد السعداوي » !! العدل أن يقترن اسم الابن بالأم » . اهـ [١]

ولهذا سعت إلى تغيير شهادة ميلادها من « نوال السعداوي » إلى « نوال زينب » ، لأن أمها ـ كما تزعم أولى من أبيها بنسبتها إليه ..

وفي حديثها عن « الفضيلة » قالت : « إن الفضيلة تعني أن يكون معي رجل غريب وأكون فاضلة . لنفرض أنني سافرت على باخرة وصادف أن يكون في غرفتي رجل يحجز سريرًا في نفس الغرفة ، ماذا أفعل ؟ هل أترك له الحجرة ؟!! .. لا .. لابُدَّ أن أكون متمردة على كل القيود ، وواثقة من نفسي » اهـ[٢] .

وقد تناولت « الحجاب » بصورة مليئة بالافتراءات على الإسلام حيث زعمت : « أن فكرة الحجاب نشأت في التاريخ البدائي القديم لأسباب صحية وقائية ، ثم اكتسبت على يد اليهود صفة دينية .

لم يكن في وسع النساء في المجتمع الصحراوي الشحيح بالماء أن يَجِدْنَ وسائل النظافة الكافية ، خاصةً في فترات الطمث والولادة ، ولهذا تقرر عزل المرأة فيما يشبه الحَجْرَ الصحيَّ خلال أيام الولادة والطمث ... لكنَّ فكرة عزل المرأة اتخذت شكلًا دينيًا ، وتطورت من عزل المرأة إلى فَرضِ

(١) انظر : « مجلة الأسرة » عدد محرم ١٤١٦ هـ ـ حزيران ـ يونيو ١٩٩٥ م (ص / ٤٩ ـ ٥٠) .

(٢) المصدر السابق (ص / ٥٠) .

الحجاب عليها ، واتَّخذَ هذا الحجاب شكل تغطية رأس المرأة أساسًا ، مع أن الرأس ليس عورة ، وليس عضوًا جنسيًا »[١].

وتعتبر الحجاب مظهرًا من مظاهر العبودية ، فتقول : « فكرة الحجاب عُرفت منذ العبودية ، وهي في اليهودية والمسيحية ، ولكنَّ الإسلام جاء ليُقللَ الحجاب ، ويسمح للمرأة أن تخرج وتعمل .

فالأصل في الحجاب أنه مفهوم عبودية ، نشأ من أن المرأة يمتلكها الرجل وهي لا تملكه »[٢].

ثم تنتقص من الديانات الثلاث : اليهودية ، والمسيحية ، والإسلام ، فتقول : « مجتمع العبودية حَوَّل المرأة إلى جسد ، واعتبر الرجل عقلًا ، ومن هنا جاء الانشطار بين الجسد والعقل ، وهو مشكلة الدين ، وبالذات المسيحية واليهودية ، وهذا الانشطار أدىٰ إلى تحويل المرأة من عقل إلى جسد إلى حدٍّ كبير »[٣].

وقالت : « إن الحجاب شكل غير إسلامي ، ولا علاقة له بالإسلام تاريخيًا وعلميًا »[٤].

ثم انتهت إلى القول : « أرفضُ الحجاب .. لأن التغطية والتعري معناهما أن المرأة جسد .. فأنا عندما أُغَطي نفسي فمعنى هذا أنني فتنة ، وسوف أفتن الرجل إذا تعرَّيت .. وهذا خطأ ، فأنا عقل وليس جسدًا مثيرًا للشهوة والفتنة » .

---

(١) مجلة « روزاليوسف » ، العدد الصادر بتاريخ ٣ / ٤ / ١٩٩٢ م .

(٢) المواجهة . د. نوال السعداوي في قفص الاتهام (ص / ١٧٥) .

(٣) المصدر السابق (ص / ١٠٨) باختصار .

(٤) المصدر السابق (ص / ١٧٥) .

ثم تتابع حديثها فتضع المرأة المحجبة في مستوىٰ العارية التي تكشف عن مفاتنها للإغراء ، فتقول : « الرسالة التي ترسلها المرأة بالحجاب رسالة خاطئة مثلها تمامًا مثل الرسالة التي أرسلها عندما أُعَرّي نفسي لإغراء . فكلٌ من العُري والحجاب معناه واحد ، وكلٌ منهما يُشَوِّهُ صورة المرأة كعقل »[1].

وتتحدث بفلسفة ممجوجة تدعو إلى الغثيان ، فتقول : « أنا أرىٰ الفتاة التي تتغطىٰ مثل الفتاة التي تتعرىٰ ، ومثل الفتاة في أوربا وأمريكا التي ترتدي الميني جيب . التعرية والتغطية واحدة .. لماذا ؟!! لأنها تقول : إن المرأة جسد . الرجل لا يتعرىٰ ولا يتغطّىٰ لأنه عقل ، وأنا لا أتعرىٰ ولا أتغطّىٰ لأنني عقل ولذلك أنا لا يهمني أن أرتدي « طرحة » أو أرتدي « ميكروجيب » ...

المرأة التي تعتبر نفسها عقلًا وفكرًا ، وتؤمن بشخصيتها كإنسان وعقل : مثلُ الرجل ؛ وهذه المرأة لا تعنيها على الإطلاق التعرية أو التغطية ، وإنما هي ترتدي ملابس عملية جدًا .. « بنطلون » و « حذاء » و « بلوفر » في الشتاء ؛ وفي الصيف ترتدي « قميصًا » خفيفًا . فالملابس ينبغي أن تكون عملية وتلبي حاجات الطقس فقط ، لأنه ليس لها وظائف دينية ولا أخلاقية »[2].

وفي إجابتها للصحفية الفرنسية « كاتي كاترين » عن موقف جمعيتها من الحجاب ، تظاهرت بالتسامح ، ولكنها هاجمت من تغطي وجهها ، وسلختها عن إنسانيتها ، فقالت : « نحن ضد التعصب وعدم التسامح ، إننا نعارض أولًا كل ما يحجب العقل ، قاصدين بذلك ذكاء المرأة ، وفيما عدا ذلك فإن أيَّ إنسان حر في اختياره . ليست مشكلتنا أن ترتدي المرأة « قبعة » أو « بونيه » أو

(١) المصدر السابق (ص / ١٧٥) .

(٢) المصدر السابق (ص / ١٠٨) .

« حجابًا » أو « إيشاربًا » أو « بنطلونًا » أو « تنورة جوب » .. نحن واضحون جدًا . لو أن هناك حجابًا يجب أن يقتصر على الشعر والرأس ، وليس الوجه فالوجه هو الإنسان ، ومن تغطي وجهها ليست بإنسانة » !!![1].

وقد ردَّتْ عليها الكاتبة السعودية « سهيلة زين العابدين حَمَّاد » رئيسة ومنشئة مدارس تحفيظ القرآن الكريم في المدينة المنورة ، وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، وعضو اتحاد المؤرخين العرب ، فقالت لها : « بأي حق تُلغَىٰ إنسانية المرأة التي تغطي وجهها ؟!! إن مُحَدِّثتك تغطي وجهها لأنها إنسانة كرَّمها اللَّه بأن شاء لها أن تولد وتعيش وتنشأ وتتعلم في مهبط الوحي ودار الهجرة ، وتنتمي إلى هذا المجتمع المسلم الذي يحترم إنسانية المرأة ويصونها ، فحَجبَ وجهها عن أعين الرجال ، ولكنه لم يحجب عقلها ويقيد فكرها ، إذ فتح لها أبواب العلم والمعرفة على مصراعيها ، ونالت منهما ما أهَّلَها لأن تكون رئيسة لمدارس تحفيظ القرآن الكريم في المدينة المنورة ، وعضوًا في رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، وعضوًا في اتحاد المؤرخين العرب ، وتُدَرَّسُ مؤلفاتها في الجامعات ، وتعتمد بحوثها في أطروحات الماجستير والدكتوراة ، وتوزع مؤلفاتها في العالم العربي ، وتُنشر مقالاتها وبحوثها في مختلف الصحف والمجلات ، ومع هذا لم يَرَها أجنبي قط ، وها هي الآن تقف أمامكِ لتردَّ على أقاويلك ، وتحاجكِ بالعلم الذي تتمنطقين به ، وتتجرئين على خالقِك باسمه .

وتمضي « سهيلة حماد » قائلة : « وإن كان مرجعك مؤلفات « فرويد »

---

(١) مجلة « ماري كلير » الفرنسية الشهرية ، العدد الصادر في نيسان - إبريل / ١٩٩١ م .

و « ماركس » اليهودي ، و « إنجلز » ، و « جان بول سارتر » و « كينزي » و « فاسترز » ، و « جوتسون » ، و « كارين هورني » ، و « سيرفي » وغيرهم من أصحاب مدرسة التحليل النفسي الفرويدي .. فإن المرجع الأول لمحدثتكِ هو كتاب اللّٰه ، ثم سنة رسوله ﷺ . وإن كان أساتذتك « فرويد وإنجلز ، وماركس ، وكِنزي » فإن المعلم الأول لمحدثتكِ هو رسول اللّٰه ﷺ ثم الخلفاء الراشدون ، ثم بقية الصحابة ، والتابعون رضوان اللّٰه عليهم .. فلتكن المواجهة إِذَنْ بين ابنة الحجاب التي تغطي وجهها ، وتؤمن بتشريع خالقها ، وبين ابنة السفور التي تتجرأ على خالقها ، وتعترض على تشريعاته وتقول : إنها لا تصلح لهذا العصر » . [١]

و « نوال السعداوي » لم تكتفِ بمواقفها المتمردة على الإسلام وأحكامه ، بل راحت تستهزئُ بالمحجبات ، فقالت : « لقد سألتُ إحدىٰ المحجبات بِكَم اشترت حجابها ؟ فقالت : بأنه فقط بخمسة وعشرين قرشًا . قلت لها : أتريدين أن تدخلي الجنة بخمسة وعشرين قرشًا » ؟ [٢]

كما راحت تبدي إعجابها بأحوال المرأة الأوربية ، فقالت : « أحوال المرأة الأوربية الأُسَرية أفضل إلى حدٍّ كبير من أحوال المرأة عندنا ، لأن الرجل هناك لا يستطيع أن يطلق زوجته بسهولة ، ولا يجوز له الجمع بين زوجتين ، وهذه ميزة كبرىٰ تتمتع بها المرأة الأوربية ، إلى جانب حريتها الشخصية الواسعة »[٣].

---

(١) المواجهة . د. نوال السعداوي في قفص الاتهام (ص / ٢٠٦ - ٢٠٧) .

(٢) مجلة « روز اليوسف » تاريخ ١٣ / ٤ / ١٩٩٢ م .

(٣) المواجهة . د. نوال السعداوي في قفص الاتهام (ص / ٦٧) .

إن الحجاب الذي يهاجمه دعاة التحرير المتمردون على الله ما هو إلا حصانة لشخصية المرأة ، ودليل على الحياء المركوز في فطرتها . أما المرأة التي تبرز مفاتنها فقد تجردت من أسس الحصانة ، وبواعث الحياء ، وكيف يشعر من فَقَدَ ذلك برقابة لله ، وصيانة للأعراض ، ومحافظة على الكرامة .

ومن المؤسف أن نجد من الإنصاف عند بعض كُتَّاب الغرب ما لا نجده عند ببغاواتنا المستغربين . فقد كتب « هملتن » عن الحجاب قائلًا : « إن أحكام الإسلام في شأن المرأة صريحة في العناية بها عن كل ما يؤذيها ويمسُّ كرامتها ، ويتناول سمعتها ، ولم يُضيِّق الإسلام في الحجاب كما يزعم بعض كُتَّابنا الغربيين بل إنه تَمَشَّى مع مقتضيات الغيرة والمروءة » .

وقال البروفيسور المعروف « خون همر » : « الحجاب في نظر الإسلام ، وتحريمُ اختلاط النساء بالأجنبي ليس معناه انتزاع الثقة بهنَّ ، وإنما هو وسيلة إلى الاحتفاظ بما يجب لهن من الاحترام والاحتشام وعدم التبذُّل .. فالحق أنَّ مكانة المرأة في الإسلام قَيِّمَةٌ تغبط عليها »[1].

فهل يعي دعاة ما يسمى « تحرير المرأة » هذه المعاني كما وعاها هؤلاء المنصفون من غير المسلمين ، أم على قلوبٍ أقفالها ؟!!

وهل تدرك المرأة المسلمة أبعاد المؤامرة التي يحبك خيوطها أولئك المتمردون على الله ، الراغبون في إخراج المرأة من حصن الفضيلة والطهر ، إلى مراتع البهيمية والسقوط ؟!!

وهل تدرك المرأة دور « جيش التغريب » اللاهث وراء الشهوة والمتعة

---

(١) المصدر السابق (ص / ١٧٠) .

والجنس ، المُسرع إليها ، الخارج عليها ـ زورًا وبهتانًا ـ بثوب المنقذ والطبيب المعالج ؟!!

ألا فاشهد ، اللهم قد بلَّغت .

o o o o

دعاة السفور في العراق

دعاة السفور في العراق

بدأت الدعوة إلى السفور في مصر ، لكن سرعان ما انتقلت عَدْوَاها إلى بلاد أخرىٰ ، كان منها : « **العـــــراق** » .

وقد وجدت لها أرضًا خصبة لدى الشاعرين :

« **جميل صدقي الزهاوي** » ، و « **معروف الرصافي** » لما بينهما وبين العقائد الإسلامية من تباعد وتناقض ، فلا يعتقدان باليوم الآخر ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ [المطففين : ٦] ، ولايؤمنان بفناء الأشياء ، ويغلب على الأول منهما إنكار وجود الخالق ، وعلى الثاني إنكار النبوات .

وكانا مفتونَين بحضارة الغرب المادية ، معجَبين بسفور المرأة الغربية ، لهذا استقبلا هذه الدعوة بكل ترحاب ، ودعَوا إليها بجرأة على اللّٰه ودينه .

وكثيرًا ما هاجما في قصائدهما الحجاب ، واعتبراه من أسباب الجهل الذي يقعد بالأمة عن اكتشاف كل جديد .

وبيانًا لدورهما في هذه المؤامرة فقد قسمت هذا الفصل إلى مبحثين ، هما :

المبحث الأول : جميل صدقي الزهاوي .

المبحث الثاني : معـروف الرصـــافـي .

وباللّٰه المستعان ، وعليه التكلان .

المبحث الأول

جميل صدقي الزهاوي

١٢٧٩ - ١٣٥٤ هـ = ١٨٦٣ - ١٩٣٦ م

ولد « جميل صدقي الزهاوي » من أبوين كرديين في يوم الأربعاء الثامن عشر من شهر حزيران - يونية عام ١٨٦٣ ميلادية .

أما أبوه فهو مفتي العراق الشيخ « محمد فيضي الزهاوي » . ولقد لقب بالزهاوي نسبة إلى بلدة في إيران تسمىٰ : « زهاو » .

وأما والدته فاسمها : « فيروذج » ؛ وهي سيدة عصبية المزاج من أسرة كردية وجيهة .

تعلم كثيرًا من علوم الأولين - حسب ما قال - فلم تشبع عقله ، ونهل كثيرًا من علوم الغربيين التي ترجمت إلى التركية والعربية ، غير أن الفلسفة قد استأثرت باهتمامه ، فولع بها ، وتوسع فيها .

بدأ في نظم الشعر بالفارسية ، ثم بالعربية ، ونشرت له الصحف والمجلات في مصر وبيروت والشام وبغداد مقالات كثيرة ، وقصائد مثيرة ، تناول في بعضها عهد السلطان عبد الحميد ، وخصَّ المرأة بعددٍ آخر منها .

ولما أعلن الدستور العثماني عينتهُ الحكومة الدستورية أستاذًا للفلسفة الإسلامية بالجامعة الملكية ، وأستاذًا للآداب العربية في جامعتها . وتقلب في مناصب عديدة ، ثم انتخب نائبًا في البرلمان العثماني .

وبعد إعلان الحرب العالمية الثانية ، واحتلال الإنجليز بغداد عُين عضوًا في اللجنة التي تدير أمور المعارف ، ثم رئيسًا للجنة تعريب القوانين التركية ، ثم ألغيت اللجنة ، وجاء الملك فيصل الأول وتُوِّج ملكًا على العراق فعينه في

مجلس الشيوخ . ثم خرج منه بعد أربع سنوات نتيجة الاقتراع الذي تمّ لإخراج نصف أعضاء المجلس ، عملًا بما نصَّ عليه الدستور العراقي ..

وبعد اكتمال شبابه أنشب المرض فيه أظفاره ، فأصيب بالأمراض العصبية التي برَّحت به آلامها ، وشَلَّت أصابع قدمه اليسرى ، ولازمته حتى آخر حياته ..

مرَّ بأطوار مختلفة في مراحل حياته حتى قال عن نفسه : « كنت في صباي أُدعىٰ بالمجنون لحركاتي غير المألوفة ، وفي شبابي بالطائش لِخفتي وإيغالي في اللهو ، وفي كهولتي بالجريء لمقاومتي الاستبداد ، وفي شيخوختي بالزنديق لمجاهرتي بآرائي الحرة الفلسفية المخالفة لآراء الجمهور »[١] .

نشر العديد من كتبه الفلسفية ، ومقالاته في العلوم الطبيعية ، ودواوينه الشعرية ، فكانت ترشح زندقة ، وتفيض إلحادًا . ولعل هذه النزعة كانت من تأثير الكتب الفلسفية التي قرأها ، والنظريات الطبيعية التي حفظها .

غير أن ذلك لم يقتصر على كتاباته الفلسفية ، بل تعدَّاها إلى أمور كثيرة كان منها « قضية المرأة » . فقد تناولها في شعره ونثره ، وأكثر من الحديث عنها دفاعًا عن حقوقها المهضومة ـ على حدِّ زعمه ـ ، وانتقد الأحكام الإسلامية الخاصة بها ، فقال : « ... ليست المرأة المسلمة مهضومة من جهة واحدة ، بل مهضومة من جهات عديدة .

---

(١) انظر : « ترجمة حياتي » للزهاوي نفسه ، نشرها الأستاذ عبد الحميد الرشودي في كتابه : « الزهاوي دراسات ونصوص » ، ص (٤٦) .

ولـو كـان رمـحًـا واحـدًا لاتَّـقـيـتـهُ
ولـكـنـه رمـحٌ وثـانٍ وثـالـثُ

فهي مهضومة لأن عقدة الطلاق بيده يحلها وحده !!

وهي مهضومة لأنها لا ترث من أبويها إلا نصف ما يرثه أخوها الرجل !!

وهي مهضومة لأنها وهي في الحياة مقبورة في حجاب كثيف يمنعها من شمِّ الهواء ، ويمنعها من الاختلاط ببني نوعها ، والاستئناس بهم ، والتعلم منهم في مدرسة الحياة الكبرىٰ !!

وليست المرأة المسلمة مهضومة في الدنيا فقط ، بل هي مهضومة كذلك في الأخرىٰ ... » !!

وبعد هذا الكفر الصُّراح الذي يحمل في طياته اتهام اللَّه سبحانه وتعالىٰ بالظلم(١) ، راح يعدد مضارَّ الحجاب ، لأنه ـ في زعمه ـ سبب من أسباب الجهل ، ويعزو عدم اكتشاف المسلمين اليوم لأمرٍ جديد إلى حجاب النساء ويدعو إلى كسر سلاسل العادات ، ورفع الحجاب ، وختم مقاله بقوله : وليس ذلك بثقيل إذا أتوه من باب الحكمة ، فأشاعوا مضاره ، ورفعوه تدريجيًا ، وإلّا دارت عليهم الدائرة ، وانحط المجتمع فلم يقدر أن يزاحم الغربيين المشمرين للسعي في طريق الارتقاء . ثم أنشد :

أَخَّرَ المسلمين عن أمم الأر ضِ حجابٌ تشقىٰ به المسلمات

---

(١) تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا . إنه القائل في كتابه : ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ [فصلت : ٤٦] .

اهـ . بتصرف واختصار [١]

وعلى إثر ذلك قامت في بغداد مظاهرة كبيرة ، احتجاجًا على ما جاء في كلامه من كفر صُراح ، وشاع لعنه على ألسنة الناس ، فلم يسع الوالي « ناظم باشا » غير عزله من وظيفته في مدرسة الحقوق ببغداد ، فقبع في داره أسبوعًا لم يخرج منها خوفًا من اغتيال الشعب له .

ثم انبرىٰ للرد عليه في بغداد الشيخ « سعيد النقشبندي » في رسالة سمَّاها : « السيف البارق في عنق المارق » .

كما ردَّ عليه في مصر « محمد حمدي النشار » في كتابه : « المرأة في الإسلام والسفور » .

لكنَّ « الزهاوي » لم يقف عند ذلك الحد ؛ بل نظم قصيدة قال فيها :

اسفري فالحجاب يا ابنة فهر   هو داء في الاجتماع وخيم

واعتبر حجب النساء غيًا ، فقال فى قصيدة له بعنوان « ابنة يعرب » :

القـوم يا ابنة يعربِ   من جهلـهم وأدوكِ وأدا
حجبوكِ عن أبناءِ نو   عِكِ حاسبين الغيَّ رشدا

ثم ازدادت شِرَّةُ ثورته ، وَقَحَةُ جراءته في قصيدته التي أعلن فيها حربه على الحجاب ، وتحريضه على السفور الذي اعتبره عنوان الطهر والعفاف ، فقال :

مزقي يا ابنة العراق الحجابـا   واسفري فالحياة تبغي انقلابا
مـزقية وأحـــرقيه بلا رَيْـــ   ـثٍ فقد كان حارسًا كذابا

---

(١) من مقال للزهاوي بعنوان : « المرأة والدفاع عنها » ، نُشر في صحيفة « المؤيد » بعددها رقم (٦١٣٨) الصادر في ٢ / شعبان / ١٣٢٨ هـ الموافق ٧ / آب ـ أغسطس / ١٩١٠ م . انظره إن شئت في كتاب : الزهاوي دراسات ونصوص (ص / ١١٢ ـ ١١٧) للرشودي .

زعموا أَنَّ في السفور سقوطًا في المهاوي وأَنَّ فيه خرابـا
كذبوا فالسفور عنوان طـهرٍ ليس يلقىٰ مَـعَرَّةً وارتيابـا

وحين اطلع العلماء على هذا الشعر الذي نَعَتَ فيه الحجاب بالحارس الكذاب ، وصموه بالزندقة ، ونعتوه بالإلحاد[1] . ولهذا قال فيه شيخ الإسلام « مصطفىٰ صبري » رحمه اللّٰه تعالى : « وإلحاد جميل : معروف ، أكثر من معروف »[2] . اهـ

أي إلحاد « جميل صدقي الزهاوي » معروفٌ أكثرَ من إلحاد « معروف الرصافي »[3] .

ولعل من المفيد أن نستعرض عقيدة هذا الرجل ، لتدرك المرأة المسلمة طبيعة المنهل الذي صدرت عنه آراؤه في الحجاب ، وحقيقة هذا المتباكي عليها ..

لقد كانت أطوار حياة « الزهاوي » مزيجًا من الحيرة ، والشك ، وإنكار البعث ؛ بل وإنكار وجود الخالق عز وجل .

نظم ديوانًا كاملًا أطلق عليه : « نزغات الشيطان » ، أفرغ فيه ما في جَعبته من إلحاد ، ونفسه من زندقه ، وعقله من شكوك . وليعذرني القارئُ لإيراد واحدٍ

---

(١) « **الزندقة** » عند جمهور الفقهاء : إظهار الإسلام وإبطان الكفر .
فالزنديق : هو من يُظهر الإسلام ويبطن الكفر . قال الدسوقي في حاشيته على الشرح الكبير (٤ / ٣٠٦) : « وهو المسمى في الصدر الأول منافقًا ، ويسميه الفقهاء زنديقًا » .
و « **الإلحاد** » هو الميَل . قال ابن عابدين في حاشيته (٣ / ٢٩٦) على الدر المختار : « الملحد : هو من مال عن الشرع القويم إلى جهة من جهات الكفر » . اهـ .

(٢) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين (١ / ٢٩٠ - ٢٩١) .

(٣) أفردنا للحديث عن « معروف الرصافي » المبحث التالي لهذا البحث ، فانظره حتى ترى أنه والزهاوي من مدرسة تغريب وإلحاد واحدة ..

من أبيات ديوانه ، لأدلل على مدىٰ ما وصل إليه هذا الشاعر من حيرة وشك ، وزندقة وإلحاد ... وناقل الكفر ليس بكافر . قال ، وبئس ما قال :

توقفت لا أدري تجاه الحقائق أَأَنِّي خَلقتُ اللَّه أم هو خالقي

تعالىٰ اللَّه عما يقول الكافرون والأفاكون علوًا كبيرا ، ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الرعد : ١٦] .

وتصل به نزغات شيطانه إلى جرأة على اللَّه لم يصل إليها « إبليس » رأسُ الكفر والغواية . وأستميح القارئَ عذرًا لعدم إيراد أبياته في ذلك ، وتكفي هذه الإشارة للدلالة على قبح ما قال ، وسوء ما نظم .. لكنْ من لم يكن في قلبه خشيةُ ذي الجلال والإكرام ، فلن يكون على فمه خطام ولا زمام ..

اللهم اجعلنا ممن قلتَ فيهم : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن : ٤٦] .

ويصرح « الزهاوي » بحيرته التي ألقت به في ممر الشكوك والأوهام ، فيقول :

حيرة في الحياة قد صدفتني عن بلوغي من الحياة مرامي

وقضت أنني أطيـل وقـوفًا في ممر الشكـوك والأوهــام

وقد بقي على ذلك أسير الحيرة والشك ، لا يستطيع أن يستقر على أمر إلى أن نشر قبيل موته قصيدة له بعنوان : « الشك لا يهدي » قال فيها :

رأيت الهدىٰ في الشك والشكُّ لا يهدي

كأنيَ بالظلماء قد كنت أستهدي

فطورًا أقول الروح كالجسم هالك
وطورًا أقول الهُلك عنه على بُعدِ

فيالك من شكٍ يُبَرّحُ بي ولا
يبارحني حتى أُوسَّدَ في لحدي

وإنيَ لا أدري أرشدي كان في
ضلاليَ هذا أم ضلاليَ في رشدي

أأفقد جسمي وحده عند ميتتي
أم الروح مثل الجسم يشمله فقدي

أرُوحٌ وجسمٌ أم هو الجسم وحده
يحركني فيما يضلل أو يهدي

أعذب حُوبَائي[1] بما أنا فاكر
كأنيَ من أعداء حُوبَائيَ اللُّدِّ

وتجده في قصائد أخرىٰ ينكر البعث بعد الموت . وحين قدم إلى مصر نظمَ قصيدة بعنوان « الدمع ينطق » ، قال فيها :

وسائلةٍ هل بعد أن يعبث البلىٰ بأجسادنا نحيا طويلًا ونرزقُ
فقلتُ مجيبًا إنني لست واثقًا بغير الذي حسي له يتحقق
وهيهات أن تُرجىٰ حياة لميتٍ إليه البلىٰ في قبره يتطرق

(١) « حُوبائي » ، أي : نفسي .

تقولين يفنىٰ الجسم والروح خالدٌ فهل بخلود الروح عندكِ منطق

ولما نشرت هذه القصيدة في صحيفة الأهرام ، اهتزت المدارس الدينية ، والمعاهد العلمية ، والأندية الأدبية ، وثار عليه أهل العلم وعلى رأسهم العالم الأزهري الشيخ « عبد الحميد قطيط » ، ووجه خطابًا إلى وزير الداخلية المصري طالبه فيه بإقصاء ذلك الضيف الثقيل الذي جاء إلى مصر بعد أن لفظته بلاده ، فآذىٰ المصريين على اختلاف طبقاتهم وأديانهم ، وعاب عليهم أسمىٰ ما يعتقدون ، دون أن يقيم على ذلك برهانا .

وأضاف هذا العالم الأزهري : « إن مصر ـ هذا البلد الإسلامي الكبير الذي فيه الأزهر أكبر جامعة دينية ـ تطالبكم بأن تضربوا علي يدي هذا الملحد ، كما ضربتم على يد « قلدس جرجس » .. وإنا لما يفعله دولة الوزير لمنتظرون » .

وفي مرحلة أخرىٰ من مراحل حياته ، ألّف كتاب « الكائنات » ، وجرىٰ فيه على أسلوب الماديين ، فأنكر وجود الخالق ، والروح ، والخلود ، لكنه أحيانًا يخاف من الرأي العام ، أو الدولة ، فيبرأ إلى اللّٰه منهم ومن آرائهم ، إلا أنه يعود ليقرر في شعره ما سبق أن قرره في نثره ، فيقول في إنكار وجود الخالق جلَّ وعلا :

لما جهلتَ من الطبيعة أمرها وأقمتَ نفسك في مقام معلّلِ

أثبتَّ ربًا تبتغي حــــلًّا به للمشكلات فكان أكبر مشكل

كما نظم قصيدة بعنوان « ثورة في الجحيم » نشرها في مجلة « الدهور » التي كانت تصدر يومئذ في بيروت ، اعتبرَها أحسن قصائده ، وضمَّنها كثيرًا من إلحاده وزندقته ، زعم فيها أن اللّٰه هو الأثير ، والاختلاف

في الاسم فقط ، إلى آخر ما فيها من الكفر والهذيان الذي أنزه سمع القارئ عنه . تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرا [١] .

وقد أثارت عليه هذه القصيدة ضجة كبيرة ، فتناوله العلماء على منابر الجمعة ، وحكموا بإلحاده وزندقته[٢] ..

وكان « الزهاوي » إضافة لما سبق يؤمن بوحدة الوجود ، وقد صرَّح بها في كتابه : « الكائنات » .

أما صوفيته التي يتغنىٰ بها فهي : « الحلول والاتحاد » ، واعترف بذلك في إحدىٰ رسائله التي بعث بها إلى الأستاذ « أحمد محمد عيش » ، حيث قال « وصوفيتي التي أتغنىٰ بها هي أنَّ الله في الطبيعة ، والطبيعة في الله ... والجانب البارز العام في حياتي هو تمردي على كل قديم ضار :

سئمتُ كـل قديمٍ عـرفتُـه في حيـاتي
إن كان عندك شيءٌ من الجديد فهـاتِ »

كما كان يؤمن بمذهب « دارون » في النشوء والارتقاء ، وصرَّحَ بذلك قائلًا : « والمذهب القويُّ في رأيي هو مذهب دارون في النشوء والارتقاء ،

---

(١) إذا أردت الرد على هؤلاء الماديين المنكرين لوجود الخالق ، فإرجع إلى كتابنا « البراهين العلمية على وجود الخالق » الذي طبعته دار القلم في دمشق وبيروت عدة طبعات ، وأعادت طباعته بالأوفست « مديرية التوجيه المعنوي » في القوات المسلحة بدولة الإمارات العربية المتحدة . فقد أقمنا فيه أدلة كثيرة على وجود الخالق عز وجل من علومهم التي يتكلمون بها ، وأبطلنا كلام القائلين بالطبيعة ، والمصادفة . وصدق من أنشد :

وفي كل شيءٍ له آية تدل على أنه واحدُ

(٢) انظر : موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين (١ /٢٩٠) لشيخ الإسلام مصطفى صبري .

وقد تبعتُه ولم يتبعه في العراق أحد قبلي ، وقد شاع فيه بسببي »[١] .

وكثيرًا ما ردد نظريته في شعره ، وكان يلقيها إلقاء الواثق المعتنق لها ، ونظم في ذلك قصيدته « سليل القرد » التي نشرتها له مجلة « الرسالة » سنة ١٩٣٦ قبل وفاته بقليل .

ومما قال فيها :

وُلِدَ القردُ قبل مليون عام بشرًا فارتقىٰ قليلًا قليلا
أيُّ شيءٍ أَلَمَّ بالقرد حتى هجر الغابَ نجلُه والقبيلا
وعلى رجليه مشىٰ بعد أن سا رَ على أربع زمانًا طويلا
ياله من تطور حوَّل القر د لإنسان يحسن التخييلا

ويؤكد تلك النظرية في قصيدة أخرىٰ ، ويرد الحياة كلها إلى الكهرباء ، فهي - في زعمه - التي نفخت الوجود في الخلايا الأُولى ، ومنها قبست الكائنات الحية حياتها وبقاءها ، فيقول :

كل ظني أن الحياة على الأرضِ بَدتْ من تفاعل الكيمياء
وهي ليست في كل ذلك إلا مظهرًا من مظاهر الكهرباء
ولَّد الكهرباء في الأرض أحيا ء بدت قبل البر في الدأماء
ثم إن الحيوان بعد دهور صار إنسانَ ماشيًا باستواء

(١) نقول : لقد باء بإثمه وإثم من تبعه مصداقًا لقول رسول الله ﷺ : « من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » . أخرجه مسلم (٣ / ٨٦ - ٨٧) وغيره .. لقد مضى « الزهاوي » إلى ربه ... ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضرًا ولا يظلم ربك أحدًا ﴾ [الكهف : ٤٩] .

وقضت سنة الوراثة فيه أن تكون الأبناء كالآباءِ

لقد لجَّ « الزهاوي » في إلحاده ، وأوغل في زندقته ، وكفر بالله تعالى القائل في كتابه : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ * ذَٰلِكَ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ * ٱلَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ وَٱلْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة : ٤ - ٩] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾ [المؤمنون : ١٢ - ١٧] .

بعد هذا الذي عرفه القراء عن « الزهاوي » الملحد ، الزنديق ، المنكر لوجود الخالق ، المتنكر للبعث ، الذي تغلب عليه الحيرة والشكوك ، الذي جمع الكفر بكافة أصنافه ، بقي عليهم أن يعرفوا المُثُلَ العليا التي يقدمها للأمة ، فيقول في رسالته للأستاذ « أحمد محمد عيش » : « المثل الأعلى للزعماء السياسيين هو : مصطفى كمال ، وغاندي ، والبهلوي في الشرق . وكان لينين أكبر زعيم في الغرب » .

وقال : « أداوي البطالة كما يداويها البلشفيون في روسيا ، وأعالج

الأزمات كما يعالجها الغازي مصطفى كمال ، وموسوليني ، والبهلوي » .

وختم رسالته بقوله : « أحب ديانة التجرد من قيود الأديان ، والمنتظر أن يرقى البشر إلى درجة أن لا يحتاج إلى إصلاح ديني . وما اللّٰه إلا ما يتصوره البشر أقوىٰ من كل قوي ، وهذا عرشه في أدمغة المؤمنين »(١) .

إنني أقولها كلمة صريحة : إن آداب العرب بمختلف مراحلها لم تعرف أشد من الزهاوي صلفًا بإلحاده ، وإيغالًا بزندقته ، وَقَحَةً في كفره ، وافتراءً على ربه ، ورغم تعدد الملاحدة الذين عرفهم تاريخ الأدب العربي ، وخاصة في هذا العصر ، إلا أننا لا نتصور ملحدًا في مجتمعات الملاحدة والزنادقة والمارقين يقول أكثر مما قاله هذا « الزهاويُّ » الهجين .

وإن من التهاون بعقيدة هذه الأمة اعتباره أديبًا من أدبائها ، أو واحدًا من شعرائها ، ثم اعتماد بعض قصائده في مناهجها ، وإبرازه شاعرًا من أبرز مجدديها ، وهو الذي انسلخ عن عقيدة هذه الأمة ، وتمرد على قيمها ، واتخذ من أعدائها مثلًا أعلىٰ لها ؟!!! فهل يكون هذا وأمثاله حريصًا على المرأة المسلمة ورسالتها وهو يعزو تأخر المسلمين إلى حجابها ؟!!!

﴿ فَٱعْتَبِرُوا يَا أُولِي ٱلْأَبْصَارِ ﴾ [الحشر : ٢] .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّالِمِينَ * ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ

(١) استقيت أقوال الزهاوي من كتبه ورسائله بواسطة كتاب : « الزهاوي دراسات ونصوص » لعبد الحميد الرشودي .

ٱلْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ * أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ * لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾ [هود : ١٨ - ٢٢] .

وقال سبحانه وتعالى أيضًا : ﴿ وَٱتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّاخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ * بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ * وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ * وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الزمر : ٥٥ — ٦١] .

○○○○

المبحث الثاني

معـــــروف الرصـــــافي

١٢٩٤ ـ ١٣٦٤ هـ = ١٨٧٥ ـ ١٩٤٥ م

ولد الرصافي في العراق ونشأ به ، ووله بالشعر ، ونظم في مختلف أغراضه الكثير من القصائد .

تناول في شعره قضية المرأة ، وأكثر من الحديث عنها ، حتى أفرد لها في ديوانه بابًا خاصًا أطلق عليه : (النسائيات) ، كان صدًى لدعوة « قاسم أمين » إلى ما أسماه : « تحرير المرأة » .

وقد صدَّر باب « النسائيات » بقصيدة أطلق عليها : « المرأة في الشرق » أرجع فيها تأخر الشرقيين ، واضطراب أحوالهم ، وتدهور أوضاعهم إلى سلب حرية المرأة ، وجلوسها في بيتها ، وتمسكها بحجابها ، بحيث غدت هذه العادات أغلالًا تَرسُفُ في إسارها ..

* قال في إحدى قصائده :

ألا مالأهل الشرق في بُرحاءِ ... يعيشون في ذلٍ به وشقاء
لقد حكَّموا العادات حتى غدت لهم ... بمنزلةِ الأقياد للأُسَراءِ
لقد غمطوا حق النساءِ فشددوا ... عليهنَّ في حبسٍ وطول ثواء
وقد ألزموهنَّ الحجابَ وأنكروا ... عليهنَّ إلا خَرجةً بغطاء
أضاقوا عليهنَّ الفضاءَ كأنهم ... يغارون من نورٍ به وهواء
وقد زعموا أن لسنَ يصلُحن في الدُّنَىٰ ... لغير قرارٍ في البيوت وبَاءِ[1]

---

(١) « باء » : أي الزواج . وانظر تلك الأبيات في ديوان الرصافي (٢ / ٣٣٢ ـ ٣٣٤) بشرح وتعليق « مصطفى علي » .

وحين رأى « الرصافي » أن الرجال يقومون بدور المرأة على المسرح لعدم بروزها للرجال ، تألم لهذه الحالة ، واعتبرها من باب التضييق على المرأة ، والحجر عليها لإلزامها بالحجاب ، فقال :

وما العار أن تبدو الفتاة بمسرحٍ تُمثّلُ حَالَيْ عِزةٍ وإباء
ولكنَّ عارًا أَنْ تَزيَّا رجالكم على مسرح التمثيل زِيَّ نساءِ[1]

ولما توجَّه إلى الآستانة عام ١٩٢٢ مرَّ في طريقه بلبنان ، فدعاه أحد رجالها المعروفين : « أفندي صعب » إلى داره بالشويفات لتناول طعام الغداء .. وهناك اجتمع بابنةِ صاحب البيت ، وكانت تُصدر مجلة « الخدر » ، فأعجب بها . وبعد سفره إلى الآستانة أرسل إليها قصيدة عنوانها : « نساؤنا » ، يشكو فيها حالهن ، فقال :

وأكبر ما أشكو من القوم أنهم
يَعُدُّونَ تشديد الحجاب من الشرع

ثم يُشبهُ المرأة بالحمامة ، ويعتبر حجب وجهها كنتف ريشها ، ومَن كانت كذلك فهل يطيب لها التغريد بعد حرمانها من أعز ما تملك ؟!!! فيقول :

أفي الشرع إعدامُ الحمامة ريشها
وإسكاتُها فوق الغصون عن السجع

---

(١) المصدر السابق .

وقد أطلقَ الخلاق منها جناحها
وعلَّمها كيف الوقوع على الزرع

فتلك التي ما زلت أبكي لأجلها
بكاءً إذا ما اشتد أدّىٰ إلى الصرع [١]

وللرصافي قصيدة أخرىٰ عنوانها : « حرية الزواج عندنا » ، نحىٰ فيها باللائمة على من تمسَّكَ بالحجاب بدعوىٰ الصَّوْنِ والعفاف ، واعتبر أن الحجاب الحقيقي للمرأة حياؤها لا نقابها ، فقال :

ولقومنا في الشرق حال كلما زدتَ افتكارًا فيه زدت تعجبا
تركوا النساء بحالةٍ يُرثى لها وقضَوا عليها بالحجاب تعصُّبَا
شرفُ المليحة أن تكون أديبةً وحجابُها في الناس أن تتهذبا
والوجه إن كان الحياء نقابه أغنىٰ فتاة الحي أن تتنقبا
فالشرق ليس بناهض إلا إذا أدنىٰ النساء من الرجال وقرّبا[٢]

ولم يكتف « الرصافي » بهذا ، بل أنشأ قصيدة بعنوان : « التربية والأمهات » ، اتهم فيها المجتمع المسلم بقبر البنات قبل الممات ، ورمىٰ طباع المسلمين باللؤم لحجبهم النساء ، وأثنى على الأعراب الذين تبرز نساؤهم حاسرات بحكم البداوة التي يعيشون فيها ، فقال :

لئن وأدوا البنات فقد قبرنا جميع نسائنا قبل المماتِ

---

(١) ديوان الرصافي (٢ / ٣٤٠) .
(٢) ديوان الرصافي (٢ / ٣٤٧ ـ ٣٤٨) .

ولو عدمت طباع القوم لؤمًا لما غدت النساء محجبات
وما ضرُّ العفيفة كشف وجه بدا بين الأعِفَّاء الأُباة
فدًى لخلائق الأعراب نفسي وإن وُصِفوا لدينا بالجُفَاة
فكم برزت بحيِّهِمُ الغواني حواسرَ غيرَ ما مُتَريِّبَاتِ
وكم خشفٍ بمربعهم وظبي يمر على الجداية والمهاةِ
ولولا الجهل ثَمَّ لقلتُ مرحىٰ لمن أَلِفوا البداوة في الفلاةِ[1]

ولم يقف « الرصافي » عند هذا الحدّ ، بل ترسَّم خطا صديقه « الزهاوي » في معظم ما قال ، فاعتبر المرأة مظلومة ، مهضومة الحقوق في كل شيء حتى في الميراث ، حيث تأخذ نصف نصيب الرجل ، فتستدعي الرحمة والإشفاق .. وقد أنشد في هذا :

لم أرَ بين الناس ذا مَظْلِمَة[2] أحقَّ بالرحمة من مسلمة
منقوصةٍ حتى بميراثها محجوبةٍ حتى عن المكرُمَة[3]

لهذا قال شيخ الإسلام « مصطفى صبري » رحمه الله تعالى تعليقًا على هذين البيتين : « وهذا من غير شك اعتراض على الله فيما قسمَ بين عباده ، وكفر بآياته البينات التي قال فيها : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء : ١١] اهـ[4].

---

(١) ديوان الرصافي (٢ / ٣٥٦ ـ ٣٥٨) .

(٢) « مَظلمة » : بفتح فسكون فكسر ، ما يطلبه المظلوم من الظالم . إهـ من شرح وتعليق مصطفى علي (٢ / ٣٥٩) على ديوان الرصافي .

(٣) ديوان الرصافي (٢ / ٣٥٩) .

(٤) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين (١ / ٢٩٠) .

وقال أيضًا : « والبيت الثاني اعتراض على اللّٰه في تقسيم الميراث بين الذكور والإناث . وفي البيت الأول الذي يرىٰ الشاعر المرأة المسلمة ذات مظلمة ، وظالمها ـ هو اللّٰه ـ لم يرحمها في تقسيم الميراث ، وفي غيره من الأحكام الشرعية التي تفترق فيها المرأة عن الرجل في دين الإسلام ، وهو يغفل أو يتجاهل أن صاحبات الحظ المساوي في الميراث لحظوظ الرجال من نساء الغرب اللاتي سفرت المرأة في بلاد الإسلام تقليدًا لهن ، يحتجن إلى بذل المال في سبيل الحصول على الأزواج تلافيًا للنقصان الطارئ عليهن في ابتذال السفور ، في حين أن المرأة قيمة بذاتها في الإسلام ، غنية عن مصاريف الحصول على الزوج بما يسمونه : « الدوطة » ، بل الرجل مكلف بالإنفاق عليها عند عقد الزواج وبعده إلى ما شاء اللّٰه أن يعيشا عيشة الزوجين . يريد الشاعر أن يكون للمرأة المسلمة أرحمَ من اللّٰه الذي يتمدَّح في القرآن بأنه أرحم الراحمين ، وفي كل هذا يكفر الرصافي ... » اهـ [(١)]

ولئن كفر « الرصافي » في قصيدته تلك ، فقد كان أكثر إيغالًا في الكفر والإلحاد بما ساقه في قصيدته الأخرىٰ التي نظمها تحت عنوان : « حقيقتي السلبية » . فقد كشف فيها عن عقيدته التي لا ترىٰ الأديان قائمة على وحي نزل على الأنبياء ، ولكنها من اختلاق قوم دُهاةٍ . يريد أنهم بذكائهم ودهائهم كذبوا على الناس وغرُّوهم وخدعوهم بدعوىٰ النبوة ، وزعمِ أن ما أتوهم به كان بوحي من اللّٰه !!!

---

(١) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين (١ / ٢٩٠ ـ ٢٩١) .

قال :

أحب صراحتي قولًا وفعلًا وأكره أن أميل إلى الرياءِ
فما خادعتُ من أحدٍ بأمر ولا أضمرتُ حسوًا في ارتغاءِ
ولست من الذين يرون خيرًا بإبقاء الحقيقة في الخفاء
ولا ممن يرىٰ الأديان قامت بوحيٍ مُنْزَلٍ لِلأَنبياءِ
ولكنْ هنَّ وضع وابتداعٌ من العقلاء أرباب الدهاء[1]

ثم ذكر أنه ليس من الذين يعتقدون بعروج الروح إلى السماء ، ولا من الذين يصلون ويصومون طمعًا بما عند اللّٰه من حسن الجزاء ، ولا من الذين يرون فناء الأشياء ، فقال :

ولستُ من الأُلىٰ وهِموا وقالوا بأن الروح تعرج للسماء
لأن الأرض تسبح في فضاءٍ وما تلك السماء سوى الفضاء
ولا مِنْ معشر صلوا وصاموا لما وُعِدوه من حسن الجزاءِ
ولا ممن يرون اللّٰه يجزي على الصلوات بالحور الوضاء
ولا ممن يرىٰ الأشياء تفنىٰ بحيث تكون من عدمٍ هواء
ولكن هنَّ في جمعٍ وفرق تبدُّلُ منهما صور البقاء[2]

أما عروج الأرواح الذي ينكره « فقد استفاضت الأحاديث عن النبي ﷺ بأن الأرواح تُقبض ، وتُنَعَّمُ وتُعَذَّبُ ، ويقال لها :

اخرجي أيتها الروح الطيبة كانت في الجسد الطيب . اخرجي أيتها الروح

---

(١) ديوان الرصافي (١ / ١١٢) .

(٢) ديوان الرصافي (١ / ١١٢ - ١١٤) .

الخبيثة كانت في الجسد الخبيث . ويقال لِلأُولَىٰ : أبشري بِرَوْحٍ ورَيحان ، ويقال للثانية : أبشري بحميم وغَسَّاق ، وآخر من شكله أزواج . وأنَّ أرواح المؤمنين تعرج إلى السماء ، وأن أرواح الكفار لا تفتح لها أبواب السماء .

وفي صحيح مسلم عن عبد اللّه بن شقيق ، عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : « إذا خرجت روح المؤمن تلقَّاها ملكان يصعدان بها . قال حمَّاد : فذكر من طيب ريحها ، وذكر المسك ، قال : فيقول أهل السماء : روح طيبة جاءت من قِبَل الأرض ، صلَّىٰ اللّه عليكِ وعلى جسد كنتِ تعمرينه ، فينطلق إلى ربه ، ثم يقول : انطلقوا به إلى آخر الأجل .

قال : وأن الكافر إذا خرجت روحه ، قال حمَّاد : وذكر من نتنها ، وذكر لعنًا ، فيقول أهل السماء : روح خبيثة جاءت من قِبَلِ الأرض . قال فيقال : انطلقوا به إلى آخر الأجل . قال أبو هريرة رضي اللّه عنه : فلما ذكر رسول اللّه ﷺ النتن ردَّ على أنفه رَيْطةً كانت عليه »[1] . اهـ

وأما عدم اعتقاده بفناء الأشياء فهو تكذيب صريح لقول اللّه تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٦ ، ٢٧] ، وهو عين عقيدة الدهرية الذين قالوا ما حكىٰ اللّه تعالى عنهم : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية : ٢٤]

كما لا يخرج ما قاله عن اعتقاد الطبيعيين الذين لخص الفيزيائي « لافوازييه » عقيدتهم بقوله : « لا يفنىٰ شيءٌ ، ولا يوجد شيءٌ من العدم ،

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤ / ٢٢٣) . و« رَيطة » بفتح الراء وإسكان الياء : ثوب رقيق .

ولكن يتحول من حال إلى حال » !!!

ويحق لنا بعد مجاهرة « الرصافي » بعقيدته أن نقول : لقد كفر الرصافي بما قال ، وإنه بتلك العقيدة لا يقل إلحادًا ـ إن لم يزد ـ عن ملاحدة[1] المجتمعات الغربية ومارقيها .

هذا مَثَلٌ من أمثلة الحريصين على المرأة ، الداعين إلى سفورها ، المتباكين عليها ، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي ٱلْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر : ٢١] .

○○○○

(١) راجع تعريفنا للإلحاد فيما تقدم (ص / ١٥٤) من رسالتنا هذه .

الخـاتمـة

الخـاتمـة

إن الذي يستعرض فصول المؤامرة على المرأة المسلمة ، يجد بدايتها على أيدي غير المسلمين الذين خططوا في خفاء ، ونفذوا في دهاء ، وجندوا من هذه الأمة مَن فَقَدَ اعتزازه بعقيدته ، وتمسكه بدينه ، وانتماءه لأمته ، فصنعوا منهم أبطالًا !!! خلعوا عليهم ألقابًا ضخمة ، ليُخدِّرُوا بهم المغفلين ، ويَفتنوا بأقوالهم الجاهلين ، وَيَصُدوا الناس عن هذا الدين .

فهذا : « الزعيم » و« معبود الجماهير »[1] !!! ، وذاك : « الزعيم الملهم » !!! وثالث : « عميد الأدب » !!! ورابع : « محرر المرأة » !!! وخامس : « أستاذ الجيل » !!! وسادس : « من رجال الإصلاح » !!! وسابع « المجاهد الأكبر » !!! وهكذا ..

ألقـابُ مملكة في غير موضعها
كالهر يحكي انتفاخًا صولة الأسد

وكم لقي المسلمون من كيدهم ، وأصابهم من مكرهم ، ما أوقع بهم كلَّ فتنة دهماء ...

﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٤] .

لقد استخدم أعداء الإسلام وأذنابهم المرأة وسيلة لتفتيت المجتمع ، وأداة لتفسخه ، وبدأوا عملهم بخطًى وئيدة ، وكلمات معسولة ، ليسلك باطلهم إلى القلوب ، وترتاح له النفوس ، ثم ما لبثوا أن وصلوا إلى ما يريدون ، وحققوا ما كانوا به يحلمون .

---

(١) نعوذ بالله من هذا الكفر الصُّراح .

لقد بدأت مؤامرة السفور بالدعوة إلى كشف الوجه ، وامتدت إلى الجلسات المختلطة المحتشمة (!!!) ، ثم إلى السفر من غير محرمٍ بدعوى الدراسة في الجامعة (!!!) ، ثم زُينت الوجوه المكشوفة بأدوات الزينة ؛ وبدأ الثوب ينحسر شيئًا فشيئًا حتى وقعت الكارثة ، فخرجت المرأة سافرة عن مفاتنها ، كاشفة عن المواضع التي أمر الله بسترها ، حتى أضحتْ شِبهَ عارية !

وراح أهل الكيد يتلذذون بالنظر إليها ، ويستدرجونها للإيقاع بها ، حتى كان لهم ما أرادوه منها ؛ ففسدت الأخلاق ، وكثرت محلات البِغاء ، وانتشر اللُّقَطاء ، وتفسّخ المجتمع ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ولم يقف هؤلاء عند هذا الحد ؛ بل روَّجوا للأدب الهابط ، أدب الجنس الوضيع ، وسُخِّرتْ وسائلُ الأعلام ، لتزيد في الإثارة ، وتوغلَ في إفساد الأمة ..

فالصحف الهابطة تنشر المقالات ، والمجلات الساقطة تُخصِّصُ صفحاتها لصور العاريات ، والتلفاز يعرض ذلك كلَّه بصورة مسرحياتٍ وتمثيليات .. لا تُبقي للأخلاق بقية ، ولا تَدَعُ للفضيلة مظهرًا من المظاهر الحيَّة ، ولا تدَّخرُ للأمة قوة تجابهُ عدوّا ، أو تَدْحَرُ مُحتلّا .

إنها خُطة محكمة رسمها اليهود وسجلوها في : « بروتوكولات حكماء صهيون » ليتحكموا في مصيرنا ، ولتبقى لهم الغلبة علينا ، وقام بتنفيذها بيغاواتنا ، فكان لأعدائنا ما أرادوا ، حيث جندوا « جواسيس » استخدموا « المرأة » و« « الخمرة » ، فنالوا بذلك أعلىٰ الرتب ، وبلغوا غاية الأرَب ، حيث حصلوا على أَدَقِّ الأسرار الاقتصادية والعسكرية والسياسية ، ثم

أَعطَوها لـ « إسرائيل » ، لتُنزل ضربتها القاصمة على هذه الأمة في حروب متلاحقة

لقد وصل الجاسوس اليهودي « إيلي كوهين » إلى أعلى الرتب الحزبية بحزب البعث في « سورية » ، وكان منزله ـ المزوَّد بأجهزة التجسس والإرسال ، والقريبُ من قيادة الجيش ـ منتدىً للساسة ، وملهىً لكبار القادة يَحْتَسُون فيه الخمور ، ويعاشرون المومسات ، وتُنتزع منهم أثناء ذلك أدقُّ الأسرار السياسية والعسكرية والاقتصادية ، ثم تُبَثُّ إلى « إسرائيل » .

وفي « مصر » أقام الجواسيس من أصحاب المناصب الكبرىٰ حفلًا ماجنًا إلى قبيل الفجر لـ « ضباط القوات الجوية » في ليلة الخامس من حزيران ـ يونيو عام ١٩٦٧ م ، احتسوا فيه الخمور ، وراقصوا الغانيات ، ثم عاشروا العاهرات ..

وبعد أن انفضَّ الحفل ، غادرَ « الجواسيس » أرض « مصر » بعد انتهاء مهمتهم الناجحة ، ونام القادة من « نسور الجو البواسل » (؟!!!) ـ وليتهم لم يستيقظوا ـ ، وغطُّوا في سُباتٍ عميق ـ وليتهم لم يفيقوا ـ ، فأغارت « إسرائيل » على المطارات ، ودمَّرتْ الطائرات ، وعطلت المدَارج ، ثم حطمت كثيرًا من المدافع والدبابات ، وقتلت الألوف بسبب فساد أولئك « الجنرالات » (!!!) وخسرت الأمة المنكوبة بهؤلاء حربًا كانت أشبهَ شيءٍ بالمسرحيات والتمثيليات .. وفقدت مع ذلك : « سيناء » ، و« الجولان » ، و« الضفة الغربية » التي فيها : « المسجد الأقصىٰ أُولَىٰ القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ..

أما « القوات الإسرائيلية » فقد دخلت سيناء حاسرة الرؤوس ، ساكبة

الدموع ، وقلوبها تهفو إلى « أرض الميعاد » !!! وتوجهت قواتها الأخرىٰ التي دخلت « القدس » إلى « حائط المبكىٰ » وهي تبكي في خشوع ، وتتضرع في خنوع ، وتدعو في خضوع . ثم أدَّتْ صلاة الشكر « للَّه » الذي هزم « العرب » على أيدي « اليهود » !!! .

لقد حاربتنا « إسرائيل » بدين ، فانتصرت رغم ما أدخلَتْ عليه من تحريف وتدجين ، وقاتلناها « بفصل الدين عن الحياة » ، و « بتحرير المرأة » وبـ « محمد عبد الوهاب » ، و« عبد الحليم حافظ » ، و« أم كلثوم » (!!!) ، فخسرنا الدنيا والدين .

إِي واللَّهِ لقد كانت الإذاعة في مصر أثناء حرب (١٩٦٧) تقول : « معكم في المعركة محمد عبد الوهاب ، وعبد الحليم حافظ ، وأم كلثوم » (!!!) ويُبشِّرُ (!!!) « أحمد سعيد » مُعَلِّقُ إذاعة « صوت العرب » متابعي هذه المسرحية ـ لا الحرب العسكرية ـ (!!!) بأن سِربًا من الطائرات الجزائرية في طريقه الآن إلىٰ الجبهة لقتال إسرائيل (!!!) فتعترضه الطائرات الإسرائيلية ، وتُسقِطُ جميع طائراته قبل وصولها إلى جبهة المعارك ..

نعم ... لقد أُسقطت هذه بسبب تبجح إعلامي ، ودُمِّرتْ تلك على مدارجها بتآمر خيانيّ . وراح وزير الحرب الإسرائيلي « موشي ديَّان » ينتشي ويقول : « لقد دمَّرنا الطائرات وهي رابضة على مدارجها كالبط » .

ورغم عار الهزيمة الساحقة ، وذل الفرار المهين ، خرج إعلامنا الهجين قائلًا بملءِ فِيه : « لقد خرجنا من المعركة منتصرين ، لأن إسرائيل لم تنجح في إسقاط النظام » !!! . فوجدتُني أكرر متهكمًا بهؤلاء الذين يستهينون بعقول الأمة : « اللَّه أكبر .. اللَّه أكبر .. عاش البطل .. عاش البطل » !!!

هذه هي النتائج التي سبَّبْتها لنا « الخمرة » و« تحرير المرأة » !!! وذلك هو ثمرة الجهد الذي بذله : « محرروا المرأة » !!! و« أساتذة الجيل » !!! و« التقدميون » !!! و« الأبطال » !!!

وهكذا تُهدَرُ كرامة المرأة باسم « تحرير المرأة » ، وتُستخدم وسيلة للدعاية والإغراء ، والإفساد ، والجاسوسية ، لينتهي الحالُ إلى تحطيم المجتمع وانهياره ﴿ فَٱعْتَبِرُوا يَا أُولِي ٱلْأَبْصَارِ ﴾ [الحشر : ٢] .

إن على المرأة المسلمة أن تستعليَ على هذه المؤامرة الرهيبة ، وتدرك الثمن الكبير الذي تدفعه هي وأمتها إن استجابت لذلك السُّعار المجنون ، الذي تغذيه أيدٍ صليبية وأخرىٰ يهودية ، ويقوم بالدعوة إليه أبطال (!!!) من بلاد إسلامية . وإنَّ عليها أنْ تتسلحَ بالعقيدة الراسخة ، والأخلاق القويمة ، والوعي الكبير .

لقد أضاعت هذه المخططات المرأة التركية حتى شبَّت عن الطوق ، ولكنها أدركت في النهاية أنها مستخدمة للمتعة ، وإفساد الأمة ، وعرفت أن الحرية التي منحت لها كانت أداة لتحطيمها ، ووأدًا لكرامتها ، وهدمًا لمجتمعها ، فسارعت في الانتخابات البلدية التي جرت في ٢٧ / ٣ / ١٩٩٤م لإعطاء صوتها « لحزب الرفاه » الذي يسعى إلى تحريرها من رقّ العلاقة الجنسية ، إلى شرف العلاقة الزوجية ..

فلا يخدعنَّكِ ـ أختي المسلمة ـ هؤلاء المتآمرون ، ولا يَصرفَنَّكِ عن الحق أولئك الكائدون ، وضعي نصب عينيك قول اللّٰه تعالى لنبيه الكريم : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم : ٦٠] .

وَلَئِنْ كان من واجب المرأة الاستعلاء على تلك المؤامرة الرهيبة ، فإن من

واجب ولاة الأمور أن يُحَكِّمُوا شرع ربهم ، وأن يحاربوا المفاسد الدخيلة على مجتمعاتهم ، وأن يحرروا المرأة من رقّ التبعية لأعدائنا ، لئلا تبقىٰ وسيلة إغراء ، وأداة إفساد . وقديمًا قال الخليفة الثالث « عثمان بن عفان » رضي الله عنه : « إن الله لَيَزَعُ بالسلطان ما لا يزَعُ بالقرآن »

○ أما نحن معاشر الأزواج والآباء ، فلْنعلم أننا مسؤولون أمام الله تعالى عما استرعانا من زوجة ، وبنت ، وأخت ، وحين نُقصّرُ في تقويم نسائنا لحملهن على الالتزام بالإسلام سلوكًا وحجابًا ، نكون قد عَرَّضنا أنفسنا لسخط الله عز وجل ، وشاركناهن في الإثم .

ـ فعن ابن عمر رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها . والخادم راعٍ في مال سيده وهو مسؤول عن رعيته ، قال : وحسبتُ أَنْ قد قال : والرجل راعٍ في مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته ، وكلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته » .(١)

ـ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله سائل كل راع عما استرعاه ، حفظ أم ضيَّع ، حتى يُسأَلَ الرجل عن أهل بيته »(٢) .

---

(١) أخرجه أحمد (٢ / ٥ و ٥٤ ـ ٥٥ و ١١١ و ١٢١) ، والبخاري (٢ / ٣٨٠ و ٥ / ٦٩ و ١٧٧ و ١٨١ و ٣٧٧ و ٩ / ٢٥٤ و ٢٩٩ و ١٣ / ١١ فتح الباري) ومسلم (٦ / ٧ ـ ٨) ، وأبو داود (٣ / ٣٤٢) ، والترمذي (٦ / ٢٧ ـ ٢٨) .

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (ص / ٣٧٦ رقم ٥٦٢ موارد الظمآن) .

والمرأة إذا صَلَحتْ صَلَحَ المجتمع كله ؛ لأنها مربية الأجيال ، وحين تكون عفيفة صالحة فإنها تُخَرّج أفضل الرجال .

ويرحم اللّٰه الشاعر العربي « حافظ إبراهيم » حيث قال :

الأم مــدرســة إذا أعــددتــهــا   أعـددتَ شـعـبًا طيّـبَ الأعـراقِ

نسأل اللّٰه تعالى أن يُصلح نساءنا ، ويُقَوِّم سلوكنا ، ويجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وآخر دعوانا أنِ الحمد للّٰه رب العالمين .

○○○○

فهرس الموضوعات

٥٥٥٥